وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة زيان عاشور - الجلفة -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

الأسس الفلسفية للسياسية الحديثة عند جون لوك

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر تخصص: فلسفة

إعداد الطالبة :

- ولد محمد الجوهر

إشراف الأستاذة:

أ.د. سعيد حدة

لجنة المناقشة :

- د/سعيد حدة: ..... مشرفا
- د/ عمري شهرزاد: ..... رئيسا
- د/ علة مختار: ..... عضو مناقشا

السنة الجامعية 2021-2022

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

إن الله أحق بأن يحمد ويشكر، فله جزيل الشكر وجزاء الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه،

الأستاذة المشرفة: الدكتورة سعيد حدة التي لم تبخل بنصحها ووقتها وإرشاداتها ومرافقتها لنا طيلة انجاز هذه المذكرة .

إهداء

بسم الله والصلاة على مصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

اهدي هذا العمل لمتواضع الذي بذلت فيه ما استطعت إلى ذلك الغالي الذي أخذه مني العالي وأدعو له بالغفران وأعلى الجنات أبي رحمه الله.

على تلك التي زرعت فيا بذور العطف والحنان، أمي الغالية إلى أختي التي كان فضلها في اجتهادي، يدها معطاة لي، أختي الغالية أنيسة.

إلى أخواتي إلى رفيق دربي زوجي وأبنتي أنيسة .

وإلى صديقتي الغالية فازية وإلى رضا وأنيس ، إلى زملائي الذين تركوا أثرا طيبا في حياتي، حمد حليمة ، رندا حسان ، بن حمزة ، وحليم وخديجة ، مسيكة مريم ، سالمي محمد ، والأستاذ دحماني عبد القادر.

وإلى جميع طلبة قسم الفلسفة.

مقدمة

مقدمة:

إن النظم والأفكار السياسية الموجودة لم تكن وليدة لحظة تاريخية ما، وانما كانت نتيجة لعدة تطورات ترجع حلقاته الأولى إلى العصور القديمة، وخاصة العصور اليونانية، كما ظهرت منذ القدم أنظمة تتلاءم مع ظروف تلك العصور وأفكار الأفراد الذين يعيشون فيها، وظهرت لمحات فكرية سياسية عند الكثير من الفلاسفة تتعلق بنظام وطبيعة الحكم و استمرت هذه الأنظمة السياسية عبر عصور طويلة وتوارثها الأجيال، وكما أن هذه الأفكار السياسية خاضعة لمنطق التطور سواء كان من الجانب التاريخي مثل تطورات الحضارة أو الجانب الفكري الموجود في الطبيعة البشرية.

فالأفكار السياسية هي سلسلة متصلة الحلقات وتلقاها فيما بعد من جاء بعدهم، نجد أن هذا الانتقال لم يكن انتقال مغلق، وإنما كان كل جيل يستفيد ويأخذ من أفكار الجيل السابق له وقد تكون هذه الأفكار مقبولة إلى حد كبير، وقد تتعرض لنقد أو تستلزم التغير و التعديل فيه.

حتى إن حاولنا تقسيم هذه الأفكار، وذلك بتحقيقها ونعتها فكرا سياسيا للعصور القديمة، ثم الوسطى ثم عصر النهضة وأخيرا الفكر السياسي الحديث.

ويعد جون لوك من أهم فلاسفة الفكر السياسي الحديث، وواضع أسس حديثة قائمة على تدعيم سلطة الشعب الذي يرى أنه من حقه عزل الحاكم، وتحليل المساعي يكون بعيدا عن مبدأ الرغبة والسيطرة، والحكومات بالنسبة له تتماشى ضمن هذه السيادة لتحقيق المدنية والحرية الشخصية، فلا سلطة تعلو فوق سلطة العقل والعدل وقوانين الطبيعة.

ومن ثما فالعقد الاجتماعي يخضع لتنازلات دون إلزام أو إكراه، والمدنية، التي دعا إليها تكون في ظل سلطة علوية، ومعروف عن لوك أنه فيلسوف تجريبي وهذا أثر كثيرا على أفكاره السياسية، فهو لم يهتم بالجانب الميتافيزيقي والماورائي الذي يتعارض مع الماديات، فالحكومة المدنية والعقد الاجتماعي والسلطة تكون في علاقة غير جيدة بالدين ككل أو الكنيسة التي كانت تسيس شؤون العامة وتفرض قوانين كهنوتية من أجل فرض هذه السلطة لتحقيق عقدا اجتماعيا في ظل حكومة مدنية مستقرة.

ولأن العامل الروحي كان ولا يزال يطغى على الأفكار والمفاهيم السابقة فإنه من الصعب التمييز بين القانون الإلهي الغيبي الذي يضمن المصداقية الحقيقية، إذ لم تلوثه يد البشر بالتحريف، والقانون الوضعي الذي سن وفق تجارب وفرضيات ومشاهدات محسوسة، ووفق قوالب من نماذج أمكنة وأزمنة تحيط بالإنسان، وبالتالي لا ريب أن يكون لوك د جاء بتحليل من نموذج عائشة ليخرج لنا بأفكار ودلالات تبدوا منطقية للعيان ويبقى للزمن والتاريخ دوره في النقد والبحث والنخل والتصفية، وللغوص في فكر "جون لوك" وجب علينا أن نجيب على الإشكالية بروز فلسفة سياسية جديدة تقوم في أساسها على أسس مادية عند جون لوك؟ وترتبت عن هاته الإشكالية الكبرى مجموعة الإشكالات الفرعية والتي هي كالاتي:

1-ماهي مقومات الدولة في فكر "لوك"

2-ما مدى تأثير "لوك" على الفكر السياسي الغربي

3-إلى أي مدى يمكننا القول بنجاح فكر لوك ومشروعه السياسي.

يكتسي موضوع السياسة أهمية بالغة منذ نشأة التجمعات المدنية، حيث صار ملاذا للمفكرين والفلاسفة وغيرهم من رجال القانون، حيث إن منبع الصراعات غالبا ما يكون سياسيا وهذا ما جعل مفكري العصر الحديث والمعاصر يتحدثون على غرار سابقيهم عن السلطة ومصادرها، وإن كانت نظرتهم لها مختلفة، كما تتجلى أهمية البحث في الواقع السياسي المعاصر الذي يترامى الأطراف والآراء بين الأنظمة والحكومات والسلطات.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على عدة مناهج منها:

المنهج التحليلي قمنا بتحليل واستنطاقه أهم دراسات لوك من خلال كتبه والتي ساعدتنا كثيرا، منها كتاب "في الحكم المدني"، والحكومة المدنية، ورسالة في التسامح، كما اعتمدنا على المنهج التاريخي والذي من خلاله تمكنا الاطلاع على الضرورة التاريخية لمفهوم السياسة والدولة عبر العصور، وكذلك التطرق إلى العوامل التي كان لها الأثر في بروز تصور جديد لسياسة بالمفهوم الحديث ولتوضيح ذلك ومعالجة الإشكالية المطروحة قمنا بتقسيم البحث إلى ثلاث فصول وهي على التوالي:

حيث تطرقنا في الفصل الاول الى الفكر السياسي عبر العصور وقسمناه الى ثلاث مباحث فتناولنا في المبحث الأول الفكر السياسي في الحضارات القديمة و المبحث الثاني الفكر السياسي في العصر اليوناني و الروماني و المبحث الثالث الفكر السياسي في العصر الإسلام

وفي الفصل الثاني حيث عنواناه بـالفكر السياسي الحديث وقسمناه الى ثلاثة مباحث فتناولنا في المبحث الأول الفكر السياسي في عصر النهضة والمبحث الثاني الاصلاح السياسي والمبحث الثالث تأسيس نظرية العقد الاجتماعي عند هوبز .

واخيرا الفصل الثالث تطرقنا فيه الى فلسفة جون لوك السياسية بين التأثر والتأثير وقسمناه الى اربعة مباحث حيث تناولنا في المبحث الأول جون لوك و المبحث الثاني المؤثرات الفكرية في فلسفة "جون لوك و المبحث الثالث مفهوم الدولة والمبحث الرابع مدى تأثير فكر لوك السياسي واخيرا خاتمة

كما اعتمدنا على عدة دراسات والمتمثلة في دراسة الطالبة بوحسون صابرينة بعنوان المرسوم بإشكالية فصل السلطات عند مونتيسكيو وجون جاك روسو دراسة نقدية تحليلية نقدية تطرقت فيها إلى فصل السلطات عند جون لوك والثانية تمثلت في فلسفة العقد الاجتماعي الجديد عند جون راوز من اعداد الطالب مطالسي حمي نور الدين، تناول فيها أيضا نظرية العقد الاجتماعي.

دواعي الاختيار: إن تطور البحث الفلسفي المتواصل في مفهوم الانسان بشكل عام والسياسة بشكل خاص اعطانا دفعة من اجل البحث في هذا المجال لمحاولة الإجابة عن اهم الإشكاليات الكبرى عن هذا الموضوع ورابطه بالمجتمع المعاصر وما نتج عنه من نزاعات وصراعات عن السلطة كالربيع العربي وإزاحة بعض الحكام عن سدة الحكم.

أما الجانب الذاتي فهو الفضول والرغبة والقلق والميل للجانب السياسي داخل المجتمعات باختلافها من حيث الزمان والمكان وربط الأحداث من أجل اثراء الرصيد المعرفي.

أهمية الموضوع:

فالموضوع يحاول اظهار أهم الأسس والركائز التي تقوم عليها الدولة خصوصا المجتمعات الغربية لتتخلص من الحكومات المستبدة وأيضا لان مثل هكذا مواضيع تعتبر ذات صدا وتأثير في العالم بأسره.

الصعوبات والعوائق:

فمن بين الصعوبات والعوائق التي واجهتني خلال بحثي تتمثل فيما يلي:

-تشابه الأفكار في الدراسات وبعض المراجع، حيث إنها تختلف أحيانا في السياق اللغوي.

-صعوبة ضبط المفاهيم التي تليق لخطة العمل.

-صعوبة جمع المعلومات وترتيبها.

-قلة الخبرة والحنكة في بناء مثل هكذا بحث مطول (انجاز مذكرة).

أهداف الدراسة:

أولها إثراء البحث العلمي فيما يتعلق بدراسة موضوع السياسة وأهم الأسس التي تقوم عليها:

دراسة أفكار فيلسوف عظيم غبر مجرى التاريخ وهو الفيلسوف "جون لوك".

-إثراء مكتتبة الجامعة، لكي يكون مثل هكذا عنوان مرجعا يستند عليه.

وبطبيعة الحال لكل موضوع خاتمة، وفيها إجابة عن الإشكال الذي طرح.

الفصل الأول: الفكر السياسي عبر العصور

المبحث الأول: الفكر السياسي في الحضارات القديمة

المبحث الثاني: الفكر السياسي في العصر اليوناني و الروماني

المبحث الثالث: الفكر السياسي في العصر الإسلامي

المبحث الأول: الفكر السياسي في الحضارات القديمة

1-الفكر السياسي في الشرق القديم

على الرغم من أنّ الفكر الفلسفي السياسي في الشرق القديم لم يؤثر ولم يساهم في تطوير الفكر الفلسفي والسياسي الذي جاء فيما بعد إلاّ أنّه عاد من جديد وساهم في احياء التراث القديم، واستطاع أن يؤثر في الفكر السياسي الحديث عامة، والفكر السياسي الفلسفي المعاصر بخاصة.

حيث نجد الطاوية والبوذية والكونفوشيوسية محل اهتمامات ودراسات من قبل المفكرين.

اذن نستطيع القول بأن الفكر الفلسفي السياسي في الشرق القديم كان يمثل اتجاهات دينية أكثر منها سياسية.[1]

1) حضارات الشرق الأدنى: هي أقدم وأول مصدر للحضارات الإنسانية حيث ظهرت فيها الجماعات البشرية على شكل قبائل وعشائر قبل الحضارات الأخرى، كالحضارة الفينيقية في الشام والفرعونية في مصر والكنعانية في فلسطين والسومرية والبابلية والآشورية في العراق، وهذه الحضارة تقدس الآلهة الوثنية المصطنعة إذ يعتبر الحاكم في اغلب الأحيان هو الإله المقدس أما الحضارة الفرعونية فكانت على هيئة دولة، أي الدولة القديمة وتسمى بالإمبراطورية الوسطى، والدولة الحديثة تسمى بالإمبراطورية الحديثة .

2) **حضارات الشرق الأقصى** : وهي من أهم الحضارات وتعتبر أم ومهد الحضارات القديمة، وهذه الحضارات تتمثل في الفكر السياسي في الهند القديمة والصين القديمة وأهم الديانات الفلسفية التي عرفتها الهند هي:

1- البراهما BRAMI: هي عقيدة هندوسية تشمل بدورها معظم العبادات والمذاهب الدينية وظهرت في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، واهم كتب البراهما، الكتاب المقدس"الويدا" "vidas" وتقوم على عدم المساواة بين البشر حيث ينقسم المجتمع إلى أربعة طبقات حسب المكانة الاجتماعية و السياسة للإنسان وهي:

[1]- عبد المجيد عمراني، محاضرات في تاريخ الفكر الفلسفي السياسي، منشورات الحبر، ط1، 2008، ص 11.

أ- **طبقة البراهما:** وهي الطبقة العليا في المجتمع وأكثر اهتماماتها العلم والدين وشعارها "كل ما في العالم ملك البرهمي، وللبرهمي حق في كل موجود".[1]

ب- **طبقة الإكشترية(الاكشترية):** وهي تحتل الدرجة الثانية في التنظيم السياسي والاجتماعي و طبقتا البراهما الاكشترية هما اللتان تهتمان بالفلسفة والعلم.

ج- **طبقة الويشية:** وهي الطبقة العاملة وتهتم بأعمال الزراعة والتجارة.

د- **طبقة الشودرا** : وهم السكان الأصليون للهند، حيث تهتم هذه الطبقة بالأعمال الشاقة(كالعبيد)، وعليها الطاعة الطاعة الواجبة الكاملة لأوامر البراهما لكي تسعد وتنعم بعد الموت.

2- **البوذية: Buddhism** وهي ديانة هندية انتشرت في العالم تدريجيا تبشر بالخلاص من الألم والتخلي عن الرغبة والغرائر وتحقيق التنوير الأعلى المسمى باسم (NIRAVANA) النيرفانا وهي واسعة الانتشار في الأزمنة الحديثة كاليابان والصين ونيبال وبورما والبوذية ضدالبراهما بسبب فوارقها القبلية المقدسة وطقوسها المعقدة في عبادة الآلهة والتضحية والبوذية تسعى إلى التحرر من الألم عن طريق التغيير الاجتماعي وبوذا أنكر وجود الله الخالق، كما أنكر الديانات الهندية وأصبح ملحد وهدف البوذية هو الابتعاد عن الثراء والعيش على العطايا والصدقات، وهذا ما فعله بوذا بنفسه من خلال ترك أمواله والابتعاد عن الثراء والعيش على العطايا والصدقات مما جعل البوذية عقيدة تقدمية.[2]

2-الفكر السياسي في الصيف القديمة:

الكونفوشوسية: كانت الصين القديمة على شكل قبائل إقطاعيةإمبراطورية سادتها الفوضى والحروب وفي هذه الفترة ولد فيلسوف الصين "كونفوسيوس" "confucius (551-479ق.م) والذي أسس المدرسة الفلسفية الرئيسية "الكنفوشمسية"" "confucianism ولها مبادئ وأفكار ومن أهم أرائها بأن العادات والتقاليد يحدد من السماء وهذا الفكر يحترم كذلك العادات والتقاليد الاجتماعية ويرى بأن جوهر الملكية أن يكون الملك مثاليا، أو على طريق

[1]- نفس المرجع، ص 12.

[2]- محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، بيروت، د ط، 1997م،ص 129.

السيادة ولقد تطورت هذه المدرسة وأصبح لها آراؤها في الحياة الاجتماعية والسياسة والاقتصادية وان ممارسة السلطة تتحقق بالاقتناع والقبول واحترام ممارستها والحاكم يدعم بثلاث عناصر أساسية:

1- الاقتصاد.

2- الجيش.

3- الشعب.

إضافة إلى الرقابة على السلطة أمر مهم لتجنب الانحراف، لأنها ترفض المنحرف وتحاول تحقيق الخير العام والرفاهية للجميع.

كما سبق وذكرنا أن الصين القديمة كانت تسودها الحروب والفوضى والانحرافات حيث كان النظام الاجتماعي هو الذي يسيطر على الحكم ورفض كونفوشيوس الانسحاب من هذا المجتمع الإقطاعي في محاولة منه الصمود والبقاء دائما بجانب المعذبين والبائسين ولهذا انتشر في مناطق الصين باحثا عن أمير يقبل تبني الإصلاحات التي يبشر بها ويحكم شعبه بموجبها فعلا لقد استطاع المعلم كون فو شيوس أن يؤثر في الحضارة الصينية ويكسب أنصار في الصين وخارجها وتنشر فلسفته وأفكاره التي تدعوا إلى المحبة والأخوة والأخلاق الحميدة، ومن أشهر كتبه."المعلم الكبير". [1]

2- الطاوية" Taoism": تعنى كلمة "طاو" نظام الكون الذي لا يدخله الخلل وهي تحاول أن تكيف حياة الإنسان حسب نظام الطبيعة، واصل "الطاو" معناه الطريق، وتهتم أيضا بالمثل العليا والعقل والحجة، وقد تغير المفهوم مع تطور الفلسفة الصينية الصينية، وظهرت هذه الديانة في القرن الخامس قبل الميلادي وهي تدعوا غلى العودة للمجتمع البدائي، وهي ضد الظلم والقهر والتسلط.

والطاوية كفلسفة دينية تدعو وتؤمن بالسحر والشعوذة والتنجيم والقوى الغيبية وما شابه كما ترى اتاوية بأن الفقر والجوع سببها الحكام السيؤ، وأن الطمع والجشع تسببا في الحروب

[1]- محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر(بيروت،م،د،و، ع997) ص129.

والمجازر وأن الرغبات في الثورة و السلطة والمجد تجلب دمار المجتمع، أي أن فلسفتها قد استمدت إلهاما من القلق إزاء الأوضاع الاجتماعية الجديرة بالإدانة التي كانت سائدة في ذلك العصر، وبالرغم من أن الكونفوشوسية والطاوية يستمدان إلهامهما من مصدر واحد إلا أنهما تطورتا بطرق مختلفة تمام الاختلاف بل ومتناقضة، فبينما شددت الكونفوشيوسية على خير البشر الأخلاقي باعتباره مفتاحا للسعادة أكد التاويون على تناسق الطبيعة وكمالها وقوام موقف التاوي هو أن حيل البشر وافاعليهم تفضي إلى الشر والتعاسة ويتعين عليهم العثور على السلام والرضا أن يتبعوا طريق الكون أو "تاو " أن يحققوا التوحد مع هذا التو.[1]

[1]– جون كولر، الفكر الشرقي القديم، تر: كامل يوسف حسين المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، ص 357.

المبحث الثاني :الفكر السياسي في العصر اليوناني و الروماني

1-الفكر السياسي في العصر اليوناني:

تكتسي حضارة بلاد الإغريق أهمية بالغة، ذلك أنها اعرق وأقدم من سائر الحضارات الأوروبية التي أخذت واقتبست أمور كثيرة عنها، وبلاد الإغريق مقسمة بدورها إلى عدد من الدويلات سميت كل منها باسم المدينة(Polis) التي تقوم فيها، وتتوفر على شروط أساسية، وهي:

أ- أن يكون لكل مدينة وسائل الدفاع.

ب- لكل مدينة إلهها الخاص.

ج- لكل مدينة قاعة رسمية تمثل مقر السلطة الحاكمة.

د- لكل مدينة بناء لاجتماع استشاري.

هـ- ولكل مدينة سوق عام يجتمع فيه العامة.

وهاته الشروط هي التي ساعدت بلاد الإغريق أن تكون أولى البلاد التي ظهرت فيها النظريات السياسية والفلسفية خاصة والفكر السياسي الديمقراطي عامة، ومن أهم الفلاسفة أو المفكر والسياسي، الذين بحثوا في السياسة ونظام الحكم هم:

1- السفسطائيون: Sophismsophists:" وهم جماعة من المعلمين يحسنون البيان والبلاغة والخطابة والفصاحة والتبليغ والتضليل ويقال أنهم جاؤوا من أسيا الصغرى إلى المدن اليونانية، وذلك لتعليم وتثقيف السباب وتضليل الشعب وتلقينهم فن الاحتيال قصد كسب عيشهم ومن أهمه منجد،:[1]

1 1 -جورجياس:Gorgias(483-380 ق.م)

ومن أهم أفكاره أن قانون الطبيعة هو قانون الوفاق والتناسق بين الناس ومع الطبيعة والإنسان هو مقياس كل شيء في الكون، فلقد كان السفسطائي يهتم بالسياسة ويتسم بالقدرة

[1] عبد المجيد عمراني ،مرجع سابق ، ص18

الفائقة على الجدل والمناقشة والحوار والدفاع عن الآراء والأفكار الباطلة والصحيحة ويقوم مذهبهم الفلسفي والسياسي على ترجيح مصلحة الفرد كمواطن على مصلحة الدولة أو المجتمع.

ولقد هاجموا رجال السياسة كما قاموا بثورة ضد الدين وهدموا قدسيته ونادوا بنسبة القوانين فقد كانوا يعملون السباب انه لا توجد عدالة مطلقة أو حقيقية مطلقة وان كل شيء نسبي وذلك من خلال قولهم "إن الإنسان مقياس كل شيء" وهذا معناه أن الإنسان مقياس لكل الأشياء أي للخير والشر وهذا في الأخلاق والسياسة.

إلا أن جورجيا لم يكن هداما للفكر الفلسفي والقواعد الأخلاقية فقد تجنب القضايا الأخلاقية و السياسية واهتم بالمعرفة العلمية فقد كان أستاذ بلاغة وفصاحة أكثر مما كان سياسي.

2-1.بروتاغوراس:protagoras (500-420 ق.م) يعتبر خبير السفساطئيين في الجدل والحوار الدياليكتيكي الذي ينطلق من القضايا السلبية إلى الايجابية، وفلسفته تهدف إلى تهديم الأخلاق والسياسة أكثر من جورجياس.

-فالسفسطائي كان يعتقد أن الوظائف السياسية من حق الجميع إذ يقول أحدهم: ".. إني اعتبركم جميعا أهلا وأقاربا".[1]

ففي نظر السفسطائيين أن العدالة تعمل دائما وباستمرار لصالح الأقوياء على حساب الضعفاء إذ أن الحكومة المدينة تسن القوانين لمصلحتها الخاصة بينما الحكومة الديمقراطية تسن قوانين ديمقراطية وتحاول أن توفق بين الطبقات الشعبية والحكومة الطغيانية تسن قوانين طغيانية كالديكتاتورية التي تدعم سياستها وتعمل لصالح نظامها.

2-2. سقراط socrate (469-399 ق.م) كان سقراط يقدس الحكمة والأخلاق والسياسة وكان جريئا في آرائه وفلسفته العقلانية وتمثلت جرأته في إعلانه عدم إيمانه بتعدد الآلهة حيث اتّهم بالإلحاد وسجن حتى يوم اعدامه وتتمثل جرأته كذلك في مخالفته وهجومه الشرس على السفسطائيين ومحاربتهم وإظهار نقاط الضعف في تعاليمهم الفاسدة، وذلك

[1]عبد المجيد عمراني ،مرجع سابق ، ص20

بالحوار العقلاني الذي أقنع عامة الناس بأنّ السفسطائيين لا يساهمون في رفع المستوى العلمي والفلسفي عامة والسياسة بخاصة، فهم اعتمدوا الطرق الملتوية وأسلوب التضليل وفي نظر سقراط المصلحة الفردية لا تنفصل عن المصلحة الجماعية.[1]

ودعا إلى احترام القوانين لأنها تمثل العدالة المثالية للمجتمع، وهذه العدالة لا تتحقق إلا إذا كان الحكم في أيدي الحكماء وهو الفلاسفة وبهذا استطاع أن يهدم فكر السفسطة ويسقط مبدأ المصلحة الفردية الذي دعا إليه السفسطائيين، وقد كلفه هذا كل حياته.

3-أفلاطون: platone (427-347 ق.م) كان من عائلة كبرى أثينية، توجه إلى السياسة، إلاّ أنها لم تعد عليه إلا بالخذلان والفشل، ثم غيّر مجرى تفكيره نحو الفلسفة كمقدمة ضرورية للسياسة باعتبار الفلسفة هي الملجأ الوحيد للتخلص من الحروب والفوضى التي كانت سائدة في أثينا فأفلاطون أراد إضفاء صفة العلم على الأخلاق والسياسة لتطابقهما في منطقهما وحاول إبعاد السياسة عن التجربة العملية لربطها بقيم خالدة فقد كان ضد السفسطائيين الذين كانوا يزعمون أنهم يعرفون الفضيلة ويعلمونها في حين أنهم لم يدركوا إلا خيالها وكذلك أراد أن ينقذ الأخلاق والسياسة التي كان يعتبرها السفسطائيون نسبية من خلال شعارهم أن الإنسان هو مقياس كل شيء نجد في كتاب أفلاطون الجمهورية نظرة تحليلية من خلال تقسيم الدولة إلى طبقات، وفي نظره لن تكون السياسة علما إلا عندما يصبح الفلاسفة ملوكا.[2]

-وقد قسم جمهوريته إلى النحو التالي:

أ-طبقة الحكام: ومهمتها الرئيسية السهر على المصلحة العامة وهي أهم الطبقات لأنها تمثل الفلاسفة الحكماء لأنهم يمثلون نخبة المجتمع.

ب- طبقة المحاربين: تقوم بعبء الدفاع عن الدولة والمجتمع وتتمثل فيهم الفضيلة والشجاعة.

---

[1]- عبد المجيد عمراني، مرجع سابق، ص21.

[2]- جان توشار، تاريخ الفكر السياسي، تر: الدكتور علي مقلد، ط2، الدار العالمية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1983، ص30.

ج- طبقة العمال والفلاحين: وينحصر دورها في تأمين ما يحتاجه المواطن كما يضاف إلى هذه الفئة ما يسمى بالأجانب والعبيد ويمنع أن يكون اليوناني عبدا.

وهذه الطبقات الثلاثة في رأي أفلاطون متساوية أمام القانون والدولة وكل طبقة لها وظيفتها الأساسية تقوم بها في ميدان اختصاصها حيث شبّه هذه الطبقات الاجتماعية بالمعادن المختلفة كالمعادن الذهب، والفضة والنحاس في الأرض.

3-أرسطو Aristotle (384-322 ق م) فيلسوف يوناني ومفكر سياسي وعالم موسوعي ومؤسس عالم المنطق وهو المفكر السياسي الأول الذي استعمل المنهج العلمي القائم على الملاحظة والمقارنة والأخلاق عند أرسطو هي فرع أساسي من السياسة والأخلاق بالنسبة له صفة إنسانية وبعدما أثبت أرسطو أن "مدينة البوليس" هي نمط حياة يفيض بكل ما في الإنسان من القيم والفضائل، اتجه إلى معالجة مضامين الحقيقة القائلة بأن البولس هي كل مركب وإنها ككل شيء مركب مكونة من أجزاء وإنّ المواطنين هم الذين ينشئون مدينتهم انطلاقا من كون الدولة شأنا مركبا فالمواطن بالنسبة له ليس مجرد ساكن المدينة بل عليه أن يشارك في إدارة العدل وفي الوظائف وعلى المواطن كذلك معرفة الطاعة وكيفية الأمر انطلاقا من استهدافه خير المدينة.[1]

والإنسان عند أرسطو مدني بالطبعة واجتماعي فهو يميل إلى العيش في مجاعة مع الأفراد حيث يبدأ نظريته السياسية التي تقوم أساسا على وحدة الأسرة لأنها هي الخلية الأساسية في المجتمع وهي أولى من الفرد، ولها روابط رئيسية تتمثل في ثلاث عناصر:

الأولى: بين الزوج والزوجة.

ثانيا: بين الآباء والأبناء.

ثالثا: بين العبيد والسادة.

وتهتم الأسرة أو العائلة حسب أرسطو بشؤونها أو أمورها وشد الحاجيات الضرورية أي اليومية مؤقتا وإذ زادت المطالب وارتفعت إلى ما بعد الحاجات اليومية فإنها في هذه الحالة

[1]-موريس كرانستون، أعلام الفكر السياسي، دار النهار للنشر، ط1، بيروت، 1971، ص27.

تتعامل مع غيرها من الأسر والمتمثلة في المجتمعات الصغيرة أي القرية، وبعبارة أخرى فإنها تكون القرية، وإذا تعددت المطالب وحاجات القرية احتاجت إلى غيرها من القرى تكونت عن ذلك دولة أو مدينة وبهذا تكون الدولة كائنا عضويا يجمع في نفسه خلايا عديدة وهي الأسرة وعلى هذا الأساس فالدولة عند أرسطو هي أسمى من الفرد والعائلة والقرية أي أن الكل أسمى من الجزء.

وفي نظر أرسطو لا يمكن أن تحقق المدينة الصالحة ما لم تحقق شروط ثلاثة وهي:

أ-أن يكون عدد سكان المدينة محدودا أي أن لا يكون عدد السكان أكثر من مئة ألف نسمة.

ب- أن تكون المدينة محصنة ضد الأعداء ولها جيش قوي يدافع عنها ومن الأحسن أن يكون موقعها يشرف على البحر ليسهل تمويلها في حالة حصارها.

ج-أن تتألف المدينة من عدة طوائف كالعمال والفلاحين أي المنتجين والكهنة والحكام ولا يمكن أن تحل طائفة محل أخرى، ولا يستحق لقب المواطن من بينهم إلا الممتازون الأحرار والمواطن بالمعنى السياسي كما يرى أرسطو هو كل من يشارك في العمل السياسي بصورة مباشرة.[1]

لقد مر الفكر الفلسفي أو السياسي عند اليونان بثلاثة أطوار متتالية:

1-**الطور الأول:** وهو طور التكوين الذي تميزت فيه فترتان رئيسيتان هما:

-الفترة الأولى: تتمثل في المرحلة السابقة قبل عصر سقراط وتهتم بالعلم والفلسفة.

-الفترة الثانية: هي الفترة التي تهتم بالبحث في المعرفة والأخلاق ويتزعمها السفسطائيون وسقراط.

2-الطور الثاني: هو طور النضج الفكري الفلسفي والحضاري، الذي يهتم بالمعرفة والسياسة والأخلاق والفلسفة ويتزعمها أفلاطون وأرسطو.

[1] موريس كرانستون، مرجع سابق ،ص 26-27

3-الطور الثالث: وهو طور انهيار الفكر الفلسفي والسياسي اليوناني ويمتد من أوائل القرن الرابع قبل الميلاد إلى أواخر القرن الخامس بعد الميلاد وفي هذه الفترة ظهرت عدة اضطرابات سياسية وحروب أهلية والتي تعرّضت معظم الدول الإفريقية مما أدى إلى سقوطها وقيم دولة روما، أي سقوط الحضارة اليونانية وقيام الحضارة الرومانية.[1]

انهيار الفكر السياسي اليوناني:

-أهم المدارس الفلسفية التي ظهرت:

تعتبر الحضارة اليونانية من أهم الحضارات القائمة لها صلة وثيقة بالشعوب المجاورة لهم، حيث تأثرت معظم حضارات دول البحر المتوسط بثقافتهم عامة وفلسفتهم خاصة ورغم تفكيك الدولة الأثينية وعودة الحرب من جديد والتحالف الخارجي ضد أثينا سنة 412 ق.م من جهة والفوضى والحروب الأهلية الداخلية والصراع الطبقي من جهة أخرى، وهذا ما اثر بالسلب على الفكر الأخلاقي والفلسفي عامة والسياسي خاصة عند الإغريق وبعد هذا السبب الرئيسي على قيام وازدهار حضارات الشعوب المجاورة خاصة الرومانية وظهور العديد من المدارس والفلسفات خارج أثينا منها:

1- المدرسة الأبيقورية(Epicureanism):

أسس هذه المدرسة ابيقور (pricurus)(341-270 ق م) في سن الثلاثين وهو فيلسوف مادي وملحد، تعلم في مدرستي "أفلاطون" و"أرسطو" تنطلق فلسفته من الاعتراف بخلود المادة وهو ينكر تدخل الآلهة في الكون والمعرفة عنده قائمة على تحرير الإنسان من الجهل والخرافات أي من خوف الآلهة.

فمدرسة ابيقور مذهبها يهتم بالفرد وإشباع رغباته ونزواته وشهواته لكي تتحقق جميع أنواع ملذاته وسعادته والمنفعة أي المصلحة الفردية هي الغاية الأساسية لتحقيق سعادة الإنسان وغاية الفلسفة هي تحرير الإنسان من الألم وتحقيق ملذاته والمذهب البيقوري يدعوا إلى الابتعاد عن الحياة السياسية لأنها تناسب اللم وتقهر رغبات وميول النفس البشرية ولقد تأثر معظم الفلاسفة والمفكرين بالبيقورية مما جعلها تنتقل من كوطنها الأصلي إلى روما

[1]- عبد المجيد عمراني ، مرجع سبق ذكره، ص33.

الابيقوريين يساندون ويؤدون سياسة النظام الإمبراطوري لروما مما جعلها تتطور وتزدهر في القرون الوسطى والحديثة وخاصة عند الملوك والقياصرة.

2-الكلبيونDoglikecynicism:الكلبيون نسبة إلى الكلبية وتعنى « kynikos » وهي كلمة يونانية الأصل وهي سمة للشخصية التي تتميز باحتقار الصريح للقواعد الأخلاقية والهروب من الواقع الاجتماعي والسياسي الذي كان سائدا عند الإغريق، وهذه المدرسة ظهرت في القرن الرابع قبل الميلاد ومبدأهم قائم على السخرية وعدم الاهتمام أو الاعتراف بالتقاليد والعادات والعرف والقيم الأخلاقية ولا تعترف بذلك بالمال والأسرة، وقد سمي الأفراد الذين يتجاهلون الأخلاق والأصالة الإغريقية والفضيلة في ذلك العصر أصبح يطلق عليهم اسم الكلبين وهدف الكلبيين هو الابتعاد والتخلي عن المال لكي لا يبقى الإنسان عبدا في حياته للمادة ولا يقاتل من اجلها.[1]

3- المدرسة الرواقية(stoics): وتعتبر من أهم المدارس الفسلفية التي دامت أكثر من خمسة قرون وقد انتشر المذهب الرواقي في إطار الثقافة اليونانية وتحت تأثير الأفكار التي تدعو إلى المواطنة العالمية أي عدم التحمس والاهتمام بالقوميات وأصحاب هذه المدرسة يؤمنون بالنزعة الفردية أيأن الحياة الفاضلة عندهم هي الممارسة وقهر النفس والانكماش أو الانطواء على الذات ويمكن الابتعاد والهروب من الشر والأفعال الخبيثة عن طريق التحكم في النفس والمجتمع المثالي عندهم يقوم على الواجبات وضبط النفس (self control) ولا يقوم على المعرفة كما جاء في للفلسفة اليونانية.

ومؤسس هذه المدرسة الرواقية "زينون الكتومي(zeno of elea)(490-430 ق.م) وهو يوناني من أصل فينيقي ولد في اكتيوم بقبرص اهتم بالفلسفة لأنه فقد ثروته وكل ما يملك في حادث فرق سفينته وفي أثينا اهتم بالفلسفة وتعليمها لتلاميذه في رواق ولذلك سمي أتباعه بالرواقيين نسبة إلى مكان اجتماعهم وعلى الرغم من ظهورها في أثينا وازدهارها في روما إلا أنها ساندت النظام السائد في روما، لم تؤثر على الفكر السياسي الحديث في أوروبا وغيرها مثل المدارس اليونانية الكبرى كالأفلاطونية واهم مميزات الرواقية:

[1]عبد المجيد عمراني ، مرجع سبق ذكره، ص40.

أ- العقل عندهم هو الذي يحدد كل التصورات البشرية ويصنف أيضا قواعد السلوك الأخلاقي.

ب- اهتمامها بالفلسفة القائمة على التربية الأخلاقية والروحية حيث تأثرت بها معظم المذاهب الدينية المسيحية في القرون الوسطى.

فالأخلاق عند الرواقيين تقوم على مبدأ أساسي هو العيش وفق الطبيعة أي حسب ما تقتضيه الطبيعة.[1]

2-الفكر السياسي في العصر الروماني

كانت مساهمة الرومان في إثراء الفكر السياسي ضعيفة وهذا راجع إلى النفوذ السياسي والديني الذي كان يتمتع به قادة روما في أوروبا بالرغم من الانتصارات العسكرية التي حققتها الإمبراطورية الرومانية، ولم تهتم روما بالفكر الخلاق والمبدع كأثينا ولكنها طورت المعرفة القانونية وأعطت الحرية المطلقة للحاكم وحددت العلاقة بين المواطن والدولة وخاصة الإمبراطورية الرومانية التي توسعت فيما بعد.

أما العوامل التي ساعدت على قيام الجمهورية في روما سنة 500 ق.م فهي كثيرة أهمها العوامل الجغرافية والإستراتيجية والسياسية والعسكرية والروح الوطنية والإيمان بالعقيدة أو المذهبية الرومانية التي ساعدت ومهدت لقيام إمبراطورية عظمى في أوروبا، ولقد مر الفكر السياسي الروماني بثلاث مراحل منها:

1- العهد الملكي.

2- العهد الجمهوري.

3- العهد الإمبراطوري.

وفي العهد الإمبراطوري، أي الفترة الأخيرة لروما بدأ الصراع الاجتماعي والسياسي والطبقي بين الطبقة الارستقراطية والطبقة الفقيرة مما جعل العسكريين يصلون إلى الحكم و

[1] عبد المجيد عمراني ، مرجع سبق ذكره، ص 41.

يتجه النظام إلى الحكم المطلق للإمبراطور ويزول تدريجيا ما يسمى بمجلس الشيوخ ومجالس الشعب.[1]

من أهم المفكرون السياسيون الذين ساهموا في تطوير الحضارة الرومانية.

بوليبيوسpolylris: المولود نحو 200 والمتوفى في عام 125 وهو إغريقي الأصل ينحدر من عائلة ارستقراطية وقد وضح مؤلفه "تواريخ Histoires" عن تفسير أسباب رفقة روما التي أخضعت نصف الكرة الأرضية تحت حكمها في نصف قرن تقريبا وهذا راجع الاختلاف جميع الأنظمة الثلاث النظام الملكي والجمهوري والنظام الإمبراطوري فقد كتب " إن الأشكال الثلاثة للحكم كانت ممزوجة في الدستور الروماني، وحصة كل منها كانت محسوبة بدقة فكل سيء كان ممزوجا فيه بإنصاف بحيث أن أي شخص حتى نمن بين الرومانيين ولم يستطيع القول إن كان الدستور ارستقراطيا أو ديمقراطيا أو ملكيا...فلدى تفحص سلطات القناصل يقال عنها ملكي... وإذا حكم عليه من خلال سلطات مجلس الشيوخ كان بالعكس ارستقراطيا وإذا أخذت بالاعتبار حقوق الشعب كان يبدو بوضوح انه ديمقراطي .[2]

حسبه أن الأنظمة الثلاثة المتتالية تدعم بعضها البعض من خلال ترتيبها وبفضل قدرتها أن تضايق على أي خطر سواء تعلق الأمر بخطر خارجي أم بتمزقات داخلية فلقد كان إيجاد نظام أكثر كمالا أمرا مستحيلا فله يعود الفضل في أن روما أصبحت لا تقهر، أن الرومانيين لم يكونوا ليتوصلوا فقط لهذا الشكل المختلط، الناجم عن المزيج الموفق للأشكال الثلاثة الصافية من خلال المحاكمة العقلية فقط لعبت التجربة دورها في هذا الصدد فالرومانيون تعلموا من خلال الصراعات والصعوبات التي كانت لديهم، ومن خلال محنهم نفسها، بالنسبة غليه النظام الروماني هو النظام الأفضل الذي يمكن إتباعه.

[1]– جان جاك شوفالييه، تاريخ الفكر السياسي ، من المدينة، إلى الدولة القومية، تر : د: محمد عرب صاصيلا، طبعة الثانية، 1993، المؤسسة الجامعية والنشر والتوزيع، لبنان.

[2]– المرجع نفسه، ص127.

شيشرون(106-عام 43):

هو مفكر سياسي وأديب روماني ينحدر من الطبقة الارستقراطية العريقة كان يحسن البلاغة والفصاحة والخطابة، ومارس مهنة المحاماة ودافع عنها بنجاح رغم انه لم يكن فيلسوفا سياسيا أو صاحب أكاديمية علمية مثل أفلاطون وأرسطو، كما تأثر بالفلسفة الرواقية.

إن دور التكييف والنقل الذي قام به مؤلفه في الجمهورية de larupuflique وفي القوانين des lois وهما عنوانان مستوحيات من أفلاطون وحث في الواجبات traité des devoires، فلقد كيف شيشرون مذاهب الرواقية الوسطى، مع أساليب التفكير الرومانية ونقل لأروب الغربية بعض من المواضيع الرئيسية التي تتشكل منها النزعة الإنسانية الأخلاقية والسياسية.

أما آراؤه السياسة تقوم على أن الدولة لا تستطيع أن نظمن استمراريتها وبقائها وهيبتها إلا إذا اعترفت بحقوق المواطنين والقانون الحقيقي هو العقل المستقيم المطابق للطبيعة المنشر لدى كل الكائنات المتفق دائما مع نفسه غير قابل للتلف ...هذا القانون لا يسمح بإدخال أي تعديل عليه إن من غير الجائز إلغاءه لا كليا ولا جزئيا فلا مجلس الشيوخ ولا الشعب بإمكانه إن يعفينا من إطاعته.... إن هذا القانون لا يختلف في أثينا عنه في روما، ولا يختلف اليوم عما سيكونه غدا، أنه نفس القانون الواحد الأبدي والثابت الذي يحكم كل الأمم وفي كل الأزمنة أن هناك إلها واحد من أحلى تعليمية ووصفه للجميع...أن من لا يطيع هذا القانون يجهل نفسه".[1]

بمعنى أن سلطة الدولة نابعة من قوة الأفراد ولابد من استعمال القوة السياسية استعمالا صحيحا وعقلانيا، فالحاكم يستعمل جميع السلطات السياسية لضمان استمرارية الدولة والدولة في ذاتها تخضع لقانون سماوي أخلاقي والقانون الطبيعي العام متعادل مع العقل البشري وهما نابعان عن قوة اعلي هي القوة الإلهية إذا بالنسبة شيرشون فهو يرى بأن القانون الطبيعي ليس رومانيا بل هو عالميا وأممي.

[1]- جان جاك شوفالييه، المرجع السابق، ص 137.

سينيكا: ولد لوغيوس انوس سينيكا عام 3 أو 4 ق.م في قرطبة اهتم بدراسة الفلسفة عامة والدراسة الفكرية اليونانية خاصة وهو لا يزال في سن الشباب كما درس واهتم بتطور الفكر السياسي للإمبراطورية الرومانية عمل كمربي (49-54م) ثم وزيرا لنيرون 54- 62م دافع عن الدستور الثنائي أي تقسيم السلطة بين الأمير ومجلس الشيوخ.

ابتعد سينيكا عن العقيدة القديمة التي ترى بأن الدولة هي المركز الأسمى للكمال المعنوي وبالمقابل فقد ركز اهتمامه وتعظيمه للعصر الذهبي للإنسانية، وهو العصر الذي اعتبره سابق عن عصر المدنية والحضارة .

يصفه سينيكا بأنه تلك الحياة الطبيعة الفطرية الساذجة وهو بذلك سبق روسوفي القرن الثامن عشر لما تكلم عن الذهبي ففي ذلك العصر احتفظ الإنسان سعادته وبراءته وعشق الحياة البسيطة الساذجة، حقا لم يكن الإنسان حينما حكيما ولا كاملا معنويا لكن عنصر الخير فيه نتيجة لبراءة الجهالة أي أن الإنسان لم يكتسب بعد ذلك الحافز الخطير المتمثل في الطمع والاتجاه إلى الملكية الفردية وبذلك قضى على الطهر البدائي، ولو بقى هذا الطهر لما احتاج لا إلى حكومة أو قانون.[1]

إن الحكومة حسب سينيكا هي وليدة الشر البشرى وحده وهي الوسيلة الإلهية لحكم الجنس البشرى وإنهم مطالبون بطاعتها والامتثال لأوامرها.

وهكذا أراد سينيكا وشيشرون هدم الأفكار السابقة أي القيم السياسة من أساسها فقد حلت المساواة العامة بين جميع الناس بصرف النظر عن جنسهم .

[1] جان جاك شوفالييه، المرجع السابق، ص 138.

المبحث الثالث: الفكر السياسي في العصر الإسلام

1- الفارابي:

هو أبو النصر محمد بن محمد بن طرخان بن اوزلغ المعروف بالفارابي ولد بتركيا عام 870م من أب فارسي وأم تركية وهو من عائلة شريفة النسب اهتم بالعلوم والأدب والفلسفة والدين في تركيا، وبغداد ودمشق، كان ميالا للغزل والتأمل يرى الفارابي بأن الإنسان يميل إلى الاجتماع مع الآخرين وهذا الميل ميل فطري حيث لا يستطيع الإنسان أن يحقق حاجياته بمفرده لذلك فهو بحاجة على من يكمله في تحقيق الحاجيات والمنافع الشيء الذي يدفعه للبحث عن سكن مجاور لهؤلاء الناس ويسمى بالتالي الحيوان الإنسي أو الحيوان المدني.[1]

هذه الفكرة ليست جديدة بل سبقه إليها أفلاطون وأرسطو في الفكر اليوناني وابن الربيع في الفكر الإسلامي والهدف من وراء هذا الاجتماع يكمن في تحقيق السعادة وهذه السعادة ليست دنيوية وإنما سعادة أخروية أيضا، ويصبح الاجتماع هنا وسيلة وليس غاية في حد ذاته إن الغاية هي بلوغ الإنسان درجة الكمال في تحصيل السعادة الدنيوية والأخروية.

كما تحدث الفارابي كما اسماه بالمعمورة وهو يقصد به العالم بأسره كما تحدث عن الأمة وهي مجموعة مدن وتحدث عن المدينة واعتبرها مجتمعا كاملا صغيرا، ولقد اشترط أن يتم التعاون بين الناس في المدن أو الأمم أو المعمورة لتحصل على السعادة الحقيقية وتتسم فيه الفضيلة ويفرق الفارابي بين عدة أنواع من المدن التام.

- **المدينة الفاضلة:** وشبهها بأعضاء الجسم التام والصحيح والتي تتعاون أعضاؤه فيما بينها لتقوم بوظائفها على أحسن ما يرام وكل عضو يقوم بوظيفة معينة لتستمر الحياة وهناك عضو واحد رئيسي وهو القلب وهناك أعضاء قريبة منه وليس بينها وبين الرئيس واسطة فهي في المرتبة الثانية، وهناك أعضاء تخدم ولا ترأس أصلا وهكذا هي أجزاء المدينة فكما أن الجسم يؤلف وحده فكذلك المدينة تكون مرتبطة أجزاؤها بعضها البعض مرتبة بتقديم بعض وتأخير بعض آخر وهنا تكمن فكرة العضوية والترتيب في كل الأمور والأشياء أما

[1]- علي عبد المعطي، محمد جلال أبو الفتوح شرف، خصائص الفكر السياسي في الإسلام واهم نظرياته، دار الجامعات، المصرية، القاهرة، 1970، ص 255.

رئيس هذه المدينة فليس كل عضو يصلح أن يكون رئيسا بل الرئيس هو أكمل إنسان أو عضو فيها ومن شروط الرئيس الفطرة والطبع والمملكة والإرادة والعقل، وقد سوى الفارابي بين وظيفتي الحكيم الفيلسوف والنبي المنذر من ناحية رئاسة كل منهما للدولة ولكن بطريقين مختلفتين من حيث المعرفة.[1]

- المدينة الجاهلة:

هي المدينة التي لم يعرف أهلها السعادة وإن ارشدوا إليها لم يقيموها وإن ذكرت لهم لم يعتقدوها

فهم يهتمون ويبحثون عن تحقيق الخيرات الحسية البهيمية وقد قسمها الفارابي إلى ستة أقسام وهي:

1) المدينة الضرورية: يعيش أهلها على الضروريات دون الكماليات.

2) المدينة البدالة: يعمل أهلها ويتعاون على بلوغ الثروة لأنها غاية بالنسبة لهم.

3) مدينة الخسة والشقوة : يكمن اهتمام أهلها بالتمتع باللذة من المأكل والمشرب وغيرها من اللذات.

4) مدينة الكرامة: يتعاونوا على أن يصيروا مكرمين ممدوحين مذكورين مشهورين بين الأمم.

5) مدينة التغلب: هم الذين يكونون القاهرين لغيرهم وهمهم التغلب والسيطرة.

6) المدينة الجماعية: يكون أهلها أحرار يعمل كل واحد منهم ما شاء ولتا يمنع هواه في شيء أصلا، فيعيشون في فوضى.

وهي بمثابة فوضى الديمقراطية التي تكلم عليها فلاسفة اليونان وهي ناتجة عن إفراط في استعمال الحرية.

[1]- علي عبد المعطي، محمد جلال أبو الفتوح شرف، المرجع نفسه، 264.

2-الماوردي:

هو أبو الحسن على بن محمد الماوردي(974-1058) ولد بالبصرة من عائلة اشتهرت بصناعة ماء الورد وبيعه ومن هذه الصناعة اشتق اسمه وكان فقيها من فقهاء المذهب الشافعي وقد عمل بالقضاء في كثير من البلاد وتميز بالشجاعة والعدل ومراعاة الضمير حتى وصل إلى منصب قاضي القضاة .

يرى الماوردي أن الإنسان كائن اجتماعي خلق ليعيش في مجتمع وباختلاف قدرات بني البشر وتباين صفاتهم وتنوع سماتهم يتحقق للمجتمع تكامله، انه التكامل الناجم عن تعاون أناس داخل مجتمع كل يقوم بوظيفة تتلاءم مع قدراته وبالتالي يحتاج كل منهم إلى الآخر.[1]

وفي نضره الحاكم هو المنظم للدولة بحيث يجمع بين السلطة الروحية والسياسة فلولا الحاكم لعاش الناس في فوضى وخراب ولعمّ الفساد ويرى أن الإمامة فرض كالجهاد وطلب العلم فالإمام له قدسيته الخاصة كونه خليفة للأنبياء فهو من يسير أمور الدنيا وبوجههم لأمور الدين، حيث يقول الماوردي في كتابه الأحلام السلطانية: "انه لولا الولاة لكان الناس فوضى مهملين، وهمجا مضاعفين. [2]

والإنسان ميال إلى الصراع مع الآخرين للانتفاع بالخيرات الدنيوية فضلا عن كبريائه فإذا أحس بالذل.

فإنه يحاول إخضاع غيره وقهر خصومه، وإذا لم تكن هنالك سلطة قهرية فإن الفوضى ستعم لا محالة.

فقد لمّح الماوردي إلى ما يسمى بالديمقراطية الإسلامية: بحيث لا وجود لسلطان بشري شامل طاغ، وشرعية لسلطة مطلقة إلا سلطة الله، حيث بنى المسلمون عليها سلوكهم السياسي، إذ ورد في أول إعلان سياسي للخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: قوله: "هذا رأيي فإن يكن صوابا فمن الله، وإن يكن خطأ فمني أستغفر الله" وقول الخليفة

[1]- احمد وهبان، الماوردي، رائد الفكر السياسي الإسلامي، دار الجامعة الجديدة للنشر، الإسكندرية، مصر د ط، 2000، ص 30.

[2]- المرجع نفسه، ص 32.

الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه للجماهير: "لا تجعلوا خطأ الرأي سنة للأمة" وبالتالي فإنّ أحسن القادة فإنّ الجماهير مدعوة لأن تحسّن مثلهم، وإن أساءت القيادة فإنّ الجماهير ليست مأمورة بأن تجتنب إساءتهم أو تغض الطرف عنها وحسب.[1]

وصل الخلفاء مقيدين برأي الرعية من خلال المشورة في بعض أمور الحكم، حيث أنهم كانوا يلتقون بهم خمس مرات في صلاة الجماعة كل يوم على الأقل، فكان الحاكم كعامة الناس يمشون في الأسواق ويلتقون بهم ويتبادلون معهم النصح ورؤى، فكان الحاكم نائبا عنهم ليس إلاّ.

ويورد الماوردي بعض الشروط الخاصة بالإمام منها النسب رغم اختلاف بعض المفكرين حول هذا الشرط، لكن الماوردي يرى وجوب النسب من خلال تمسكه بنص الحديث الشريف: "الأئمة من قريش" وقوله عليه السلام: (قدّموا قريش ولا تتقدموها)، ولهذا نراه يقول: "ليس مع هذا النص المسلم شبهة لمنازع فيه ولا قول لمخالف له....[2]

كما يجب على الحاكم أن يكون سليم الحواس والأعضاء من العوائق التي تمنع الحركة الكاملة، أو سرعة النهوض لتدبير أمور الدولة، فهو شرط يتعلق بالقدرات العقلية والبدنية للحاكم.[3]

فلا يمكن أن يوكل الحكم إلى شخص منقوص القدرات لأنه لن يستطيع إدارة البلاد وحتى لا تدار الأمور من وراء ظهره، فتصبح السلطة مقرونة بأناس ذات مصالح وطموحات خاصة.

1- حفظ الدين على أصوله المستقرة.

2- تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بين المتنازعين

3- إقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى على الإنتهاك.

4- تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة لحماية البلاد من الأعداء.

[1]-محمد وقيع الله أحمد، مدخل إلى الفلسفة السياسية، دار الفكر للنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2010، ص223.

[2]- إمام عبد الفتاح إمام، الأخلاق والسياسة، المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، د.س، ص ص122-123.

[3]- محمد وقيع الله أحمد، مدخل إلى الفلسفة السياسية، مرجع سابق، ص100.

5- جهاد من عاند الإسلام حتى يسلم.

6- فرض الخراج والصدقات على من وجبه الشرع.

7- تقدير العطايا وما يستحق في بين المال وعدم الإسراف فيه.

8- مراعاة الدقة في تعيين الموظفين في الدولة.

9- مباشرة الأمور وتصفح الأحوال بنفسه.

يرى الماوردي أن الخلافة لا يجب الاشتراك فيها، وبالتالي فالإمام له سلطة مطلقة ما دام ضميره هو المحكم ومادام يستمد أحكامه من القرآن الكريم والسنة النبوية وبالتالي فمعاملته للرعية كمعاملة الأب لأبنائه أما مسألة اختيار الحاكم فهي شكلية فقط.

3-ابن خلدون:

اسمه ولي الدين أبو زيد عبد الرحمان بن محمد سنة 1322م من أسرة أندلسية نزحت من الأندلس إلى تونس، درس في جامع الزيتونة حيث تلقى دروسا في التفسير والحديث والفقه والفلسفة والعلوم الطبيعية وغيرها.

-نجد صدى فكرة التعاون الاجتماعي عند ابن خلدون واضحا، وهو يعبر بقوله: "الاجتماع الإنساني ضروري ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم إنّ الإنسان مدني بالطبع أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى العمران.[1]

يرى ابن خلدون أنّ الاجتماع ضروري من أجل القوة واكتفاء الحاجة ولأنّ العدوان طبيعي في الحيوان- ولكل حيوان عضو يدافع به عن نفسه ولكن الإنسان ليس لديه سوى الفكر واليد- اليد المهيأة لصنع الآلات والفرد الإنساني عاجز وحده عن مقاومة الحيوان وهو محتاج للتغلب عليه بالتعاون مع أبناء جنسه، ولكن هذا الاجتماع لو حصل على البئر وتم العمران فلا بدّ من وازع يدفع بعضهم بعض لما في طباع الإنسان الحيوانية من ميل العدوان والظلم وعليه يجب كبح هذه الميول العدوانية والطبيعية والحيوانية بسلطة ويد قاهرة لكن هذه اليد القاهرة الانصياع للانقياد للرئيس الذي ينظم الدولة.

[1]- مصطفى سيد احمد صقر، نظرية الدولة عند الفرابي، مكتبة الجلاء الجديدة، المنصورة، د.ط، 1989، ص17.

حيث يرى أن الحياة الاجتماعية تتطلب نظاما سياسيا فتنشأ الدولة وهي أهم المؤسسات الاجتماعية حين تتغلب جماعة من البدو ذات عصبية فتتأسس الدولة أو الملك، ذلك بأن الملك لا يحصل إلا بالتغلب، والتغلب إنما يكون بالعصبية واتفاق الأهواء على المطالبة وجمع القلوب وتأليفها إنما يكون بمعرفة من الله لإقامة دينه فالحاكم السياسي ضروري للإنسان ضرورة الاجتماع له.[1]

ذهب ابن خلدون إلى القول بأن الدين هو عامل من أهم عوامل استتباب الحكم، ولما كانت الغاية من السياسة هي تحقيق الخير الأقصى للإنسان في الدنيا والآخرة فقد فرّق بين نوعين من الحكم السياسي، حكم يتجه إلى خير المحكومين في الدنيا والآخرة وهذه هي السياسة الشرعية التي تستند إلى الشريعة ولكن هناك حكم يتجه إما إلى خير الرعية أو الحكام في هذه الدنيا، وهذه سياسة عقلية دنيوية وهي تستمد من العقل بغير الاستعانة بالوحي السياسي، ويقول أن الاجتماع للبشر ضروري وهو معنى العمران الذي تتكلم فيه وأنه لابد لهم في الاجتماع من وازع حاكم يرجعون إليه وحكمهم فيه تارة يكون مستندا إلى شرع منزل من عند الله يتوجب انقيادهم إليها ما يتوقعونه من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم، فالأولى يحصل نفعها في الدنيا والآخرة لعلم الشارع بمصالح في العاقبة لمراعاته اتجاه العباد في الآخرة والثانية وإنّما يحصل نفعها في الدنيا فقط. وبالتالي فالسياسة الشرعية مستمدة من الوحي الإلهي للأنبياء والحاكم هنا إما يكون نبيا أو خليفة له أو عالما لأصول الشريعة ومطبقا لها، فيكون النفع دينيا ودنيويا.

كما يحدد أربعة شروط وصفات الحاكم أو الخليفة الذي يستند لحكمه بالإجماع وهي" العلم والعدالة والكفالة وسلامة الحواس والأعضاء".

أما فيما يخص الرياسة فهو يرى أنها تكون بالغلب وهذا الغلب يكون بالعصبية.•

"فلا بدّ من الرئاسة على القوم أن تكون من عصبية غالبة لعصبياتهم واحدة واحدة لأنّ كل عصبية منهم، إذا أحست بغلب عصبية الرئيس لهم، أقروا بالإذعان والاتباع.[2]

---

[1]– مصطفى سيد احمد صقر، نظرية الدولة عند الفرابي، المرجع السابق، ص53.

• العصبية: يعرفها ابن خلدون بأنها النعرة على القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ظلم أو تصيبهم هلكة، ومصدر العصبية هو النسب غير أنه لا بد أن ترتبط بالولاء، كعصبية قريش أيام الخلفاء الراشدين.

[2]– أميرة حلي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، ص53.

الفصل الثاني: الفكر السياسي الحديث

المبحث الأول: عصر النهضة:

المبحث الثاني: الإصلاحات السياسية

المبحث الثالث: تأسيس نظرية العقد الاجتماعي

المبحث الأول : الفكر السياسي في عصر النهضة

1- عصر النهضة:

تدل كلمة النهضة Renaissance على حركة البعث الجديد أو الأحياء ومن ثم فهي تشير إلى تلك الروح النقدية التي ظهرت بالنسبة إلى الفلسفة والأدب ولجميع المعارف والفنون الكلاسيكية بغية مزيد من التجديد والتغيير والابتكار، ويمكن تحديد عصر النهضة تاريخيا من النصف الأول من القرن الرابع عشر إلى نهاية القرن السادس عشر وكانت إيطاليا على وجه خاص رائد أوربا في هذا العصر.[1]

بمعنى أنه في بداية القرن الرابع عشر بدأت حركة النهضة بمختلف مظاهرها تهدف إلى إعادة إحياء جميع المعارف والفنون الكلاسيكية والنهوض من عصر الظلمات وتكوين هذه الثورة العلمية أو ما يسمى بعصر النهضة وبدأت هذه الأخيرة في القرن الخامس عشر مع إعطاء حرية للفكر على حساب السلطة الدينية.

وقد ظهرت حركة النهضة في بدايتها في إيطاليا، وكان ذلك في منتصف القرن الرابع عشر، في حين لم تظهر في بلدان أوربا إلا بعد فترة من الزمن.[2]

يعتبر عصر النهضة من أهم المراحل التاريخية التي مهدت للفكر السياسي الحديث بجميع نواحيه وتطبيقاته، وفي هذا العصر ظهرت مبادئ لا تزال الإنسانية في محاولة للبحث فيها وتطبيقها لحد الآن.

إن الأفكار التي جاءت في مرحلة النهضة في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانون ساعدت في تقدم المدينة السريع، واتساع نطاق الإنتاج في مدى أربعة قرون الشيء الذي فاق ما حصلت عليه البشرية من كسب في عشرات القرون السابقة.

عرف العالم الغربي في هذه المرحلة تحولات عميقة شملت جميع النواحي، فالأزمة الاقتصادية أدت إلى جمود مادي وخراب طبقات شعبية كبيرة، ليأتي وباء الطاعون سنة

---

[1]– محمد علي محمد، علي عبد المعطي محمد، السياسة بين النظرية والتطبيق، د.ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2006، ص 111.

[2]– المرجع نفسه، ص 112.

1348 ليقضي على ثلث سكان فرنسا وإنجلترا، بالإضافة إلى الاضطرابات السياسية والإيديولوجية، فبذخ الكنيسة وانقسامها أدى إلى تمزق المسيحية، وهكذا تعددت الحروب بين الأمراء الذي زعزع الرأي العام.[1]

2-العوامل التي ساعدت في تطور الفكر السياسي لعصر النهضة:

لم يكن الانتقال من واقع العصور القديمة إلى واقع العصور الحديثة انتقالا مباشرا ومفاجئا، بل تم هذا الانتقال عبر مرحلة انتقالية تميزت ببعض التطورات والاكتشافات الجديدة التي أدت إلى بعض التحولات الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في أوربا بشكل خاص، وفي العالم بشكل عام، هذه التطورات والاكتشافات التي مهدت لعصر النهضة وآثاره ويمكن ذكر أهمها:

1- فتح القسطنطينية سنة 1453:

على يد محمد الفاتح، هذا الفتح الذي كما وضع مدينة القسطنطينية عاصمة للمعرفة والفلسفة الإغريقية تحت رحمة الغزاة الأتراك، دفع بالعلماء والفلاسفة اليونانيين إلى الهرب من اليونان متوجهين إلى إيطاليا حاملين معهم آثارهم العلمية والفلسفية.[2]

2- اكتشاف الطباعة: هذا الاكتشاف الذي سمح بتسهيل نشر المؤلفات القديمة وبتوسيع نطاق المعرفة.

3- اكتشاف أمريكا: الذي غيّر خارطة العالم المعروفة.

4- الاكتشافات العلمية: مثل نظريات كوبر نيكوس و غاليلو وهارفي وغيرهم.

5- ولع أوربا بالعلوم والفنون القديمة.

6- الإصلاح الإنجيلي الذي انتصر للحرية الفردية النابعة من ذات الفرد الإنساني.

---

[1]- نور الدين حاروش، الفكر السياسي، ط2، دار الأمة، سنة 2009، ص 274.

[2]- أ. مهدي محفوظ، اتجاهات العصر السياسي في العصر الحديث، ط 1، دار المؤسسات الجامعية للنشر، 1990، ص 11.

هذه الأحداث التاريخية التي مهدت لعصر النهضة شكلت القاعدة لانطلاق العصور الحديثة.[1]

بالمقارنة مع العصور الوسطى، تميزت العصور الحديثة بعقلية وبمناخ فكري مختلف اختلافا ظاهرا كما اتسمت به العصور الوسطى بالنسبة لبعض القضايا الإنسانية. من هذه القضايا يمكننا أن نلاحظ أن السلطة في العصور الوسطى كانت متمركزة في الكنيسة، وبين يدي الباب بشكل خاص، بينما في العصور الحديثة فقد تضاءلت سلطة الكنيسة والدين وقويت سلطة الملوك، وبينما كانت الثقافة الوسيطية ثقافة كنيسة مستقات من المعتقدات الدينية المسيحية، والبعيدة كل البعد عن المنطق والتجربة. كانت ثقافة العصور الحديثة ثقافة علمانية قائمة على أساس التحليل العلمي التي لا تقبل الجدل أو النقد.

إن هذا التحول الفكري والسياسي والعلمي الذي رسم معالم العصور الحديثة، لم يكن ليتم بتلك السهولة إلا عبر عاملين أساسيين هما:

1- صراع طويل شهدته أواخر القرون الوسطى في داخل الكنيسة البابوية للحد من الصلاحيات والامتيازات الدينية والدنيوية التي كان يتمتع بها البابا.

كان من نتائج انقسام الكنيسة وتوزعها ما بين بابا روما وبابا أفينيون في فرنسا، إذ بدأت بوادر الضعف تظهر على قوة الكنيسة التاريخية، ذلك لأن الدول الأوربية انقسمت فيما بينها حول تأييد بابا روما أم بابا أفينيون، فبينما أيدت فرنسا وإسبانيا واسكتلندا البابا المقيم في فرنسا بادرت المقاطعات الألمانية والإيطالية وهولندا وانجلترا والبرتغال والمجر بتأييد بابا روما، وهذا الانقسام على صعيد الكنيسة وعلى صعيد الدول الأوربية دفع كل بابا لأن ينافس الآخر بالتقرب من الملوك ومنحهم المزيد من الامتيازات السياسية لكي يضمن استمرار ولائهم له.

2- تطورات اقتصادية متراكمة خلال حقبة طويلة من الزمن أدت إلى خلق تشكيل ثوري جديد من المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية السائدة خلال العصور الحديثة، ففي العصور الوسطى كانت المؤسسات الاقتصادية تعتمد على حقيقة ألا وهي أنّ مجتمع

[1] مهدي محفوظ، مرجع سابق ،ص11

العصور الوسطى بتنظيمه الاقتصادي والسياسي يتميز بكونه مجتمعا ضيقا و محليا تمام، وكان هذا نتيجة حتمية للقيود المفروضة على وسائل المواصلات، كان لتلك التطورات الاقتصادية نتائج اجتماعية وسياسية كبيرة فقد نشأت طبقة من رجال المال وأصحاب النفوذ الذين كانوا يعتبرون طبقة النبلاء العدو الحقيقي لهم، وبهذا كانوا يرون أنّ مصالحهم تقف إلى جانب حكم قوي في الداخل والخارج في آن واحد، ومن ثم كان تحالفهم مع الملك لكي يزيدوا من نفوذه وسلطته بوجه العوائق والقيود التي كانت تحيط بالملكية خلال العصور الوسطى ومع أنّ سلطة الملك كانت نتيجة لهذا التحالف تزداد، وتتجه باتجاه الاستبداد والقمع، فقد كانت بالنسبة لطبقة التجار الناشئين أفضل لهم من أي حكم يمكن أن يوفره لهم النبلاء الاقطاعيون باستهلال القرن السادس إذ أصبحت الملكية المطلقة النمط السائد للحكم في أوربا الغربية، ذلك لأنها كانت تعتمد على القوة إلى حد بعيد وبشكل صريح تماما، وهكذا تكون الملكية المطلقة قد حلت محل الحكم الدستوري الاقطاعي ودول المدن الحرة التي اعتمدت عليهما حضارة القرون الوسطى، وهكذا وقعت الكنيسة فريسة لهذه الملكية المطلقة.

وهكذا نمت الملكية المطلقة في كل مكان من أوربا الغربية.

3-أهم النتائج لحركة النهضة:

1-الهجوم على الدين والأخلاق وفصلهما عن مجال السياسة.

2- ساعدت حركة النهضة على نمو الآداب القومية في ايطاليا وأروبا.

3- ساعدت حركة النهضة على تشكيل روح جديدة تمارس التجديد والابتكار في سائر المجالات السياسية والأدبية والفنية والاقتصادية....إلخ.[1]

4- كان عصر النهضة بمثابة الارهاصات الأولى للإصلاح الديني الذي حدث فيما بعد.

5- زوّدت الحركة الثقافية الإنسانية بمفاهيم جديدة والعالم، وجّهت الناس إلى أنّ هذه الحياة يمكن أن نحياها لذاتها، وأنّ على الإنسان ألا يحتقر مباهج الحياة ويضحي بها في سبيل سعادة لا نعلم عنها شيء في العالم الآخر.[1]

[1] محمد علي محمد، علي عبد المعطي محمد، المرجع السابق، ص112.

المبحث الثاني : الاصلاح السياسي

اولا :حركة الاصلاح الديني:

إنّ ما ميّز الفكر السياسي في العصور الوسطى، أنّ المفكرين والفلاسفة كانوا يعتمدون خلال دراستهم للظاهرة السياسية وعلاقاتها بالسلطة السياسية على الدراسات والمفاهيم اللاهوتية والكنيسة وذلك لتبرر ما للكنيسة من سلطات ونفوذ، للبرهنة على سمو البابوية على كل السلطات الزمنية الأخرى من ملكية وامبراطورية، وبعد أن اتّسم عصر النهضة بمحاولات فصل الدين عن السياسة عبر مؤلفات مكيافيلي، نجد أن حركة الصاح الديني التي بدأت تظهر وتتعاظم في أوائل القرن السادس عشر أخذت تعيد هذا المزج بين النظرية السياسية، والمسائل اللاهوتية والدينية، مما سبب انشقاقا في داخل الكنيسة وانفصال كامل للدولة عن الكنيسة والبابوية سياسيا ودينيا.[2]

ومن أهم المفكرين السياسيين في حركة الإصلاح نجد:

1-مارتن لوثر(1483-1546):

ولد مارتن لوثر سنة 1483م في مدينة ايسليبن بإقليم سكونيا من أب يعمل في مناجم الفحم، عان لوثر في طفولته الكثير من الحزن والفقر، وبالرغم من ذلك فقد استطاع أن ينهي دراسته الجامعية في جامعة ايرفورت، في عام 1505 تخل عن دراساته العلمية لينخرط في سلك الرهبنة. إثر تعرضه لصاعقة رعدية خطيرة طرحته أرضا، في عام 1507م رشّح مارتن لوثر لأن يصبح قسيسا، ومنها توجّه للتركيز على دراسة اللاهوت.

[1]– محمد علي محمد، علي عبد المعطي محمد، المرجع السابق، ص112.

[2]– مهدي محفوظ، اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث، ط1، دار المؤسسات الجامعية للنشر، 1990، ص45.

انطلق لوثر بأفكاره نحو اصلاح الكنيسة من الانحلال والفساد والظلال الذي وصلت إليه، والتهم التي كان يوجهها للكنيسة تنصب على حياة الترف والمعيشة الشريرة في بلاط روما، واستنزاف الإيرادات الكنيسية الألمانية من أجل البابوية وبيع صكوك الغفران، وكان هجومه هذا يخص به رجال الدين من امتيازات واعفاءات خاصة.[1]

ففي عام 1517 بدأ يظهر خلاف لوثر مع كنيسة روما وذلك عندما هاجم عملية بيع صكوك الغفران التي كانت تقوم بها الكنيسة لقاء مبالغ ضخمة تحصل عليها من الفقراء، واعتبر أنّ هذا العمل كريه ولا يمتّ للدين الحقيقي بصلة، أثار ضجة كبرى مما دفعت البابا لأن يعتبره زنديقا منشقا عن الكنيسة، وهذا ما جعله يهرب ويختبئ من بعض الملاحقات التي بدأ يتعرض لها، وبعد أن بدأت الأفكار المنادية بالإصلاح الديني تسود في ألمانيا عاد على إثرها لوثر للظهور حيث أقدم على الزواج عام 1523م وكان لوثر خلال فترة اختبائه قد ترجم الكتاب المقدس إلى الألمانية واضعا من خلاله بين أيدي الألمان أول كتاب ديني بلغتهم الأم.

رأى لوثر أنّ الإنسان ليس بحاجة إلى البابا أو القساوسة، وأنّه يستطيع أن يحصل على الغفران رأسا من الرب دون توسّط أو وساطة، وأنّ وظيفة الأكليروس ليست إلا التبشير بالمسيح ومملكة الرب والخلاص، واستبعد تعاليم الرهبة والحج وغيرها من العادات الكاثوليكية، وأن يكون رجل الأكليروس أعزب، وقد اعترفت ولايات كثيرة بأن الحق كان في جانب لوثر، وأنّ الكنيسة كانت مخطئة وما لبثت تعاليم لوثر الدينية أن عمّت ألمانيا، أوضح لوثر في رسالته إلى النبلاء المسيحيين الألمان أنّ الغرض الذي يهدف إليه هو إيقاظ الشعور القومي الألماني ضد الشعور القومي الإيطالي وأنّه ينتظر عون الحكومة الألمانية نجاح الحركة التي يدعو إليها، كما بيّن في سبع وعشرين نقطة أنّ هذه الحركة أن تتولاها القوة الدنيوية أو الحكومة المدنية، وبالتالي فيجب إلغاء إي سلطة بابوية خارج نطاق الكنيسة الرومانية كما ذهب لوثر إلى أنّ كل الأمور التي تتعلق بالأموال أو بالطبقات أو بالجوانب المادية عموما يجب أن تكون من شأن الحكومة الدنيوية وحدها.

[1]– مهدي محفوظ المرجع السابق، ص47.

أما فيما يتعلق بالعقيدة فنّ لوثر يرى أنّ كل المسيحيين سواء بسواء وأنّ البابا والأساقفة والقساوسة ليسوا إلاّ مجرد موظفين يرتبون وينظمون الحياة السياسية، ولا يمتلكون أي استثناء خاص بربطهم بالنظام السياسي، وبهذا قضى وثر على ما سدّ بين رجال الكنيسة في العصور الوسطى من إمكانية تمتعهم بالثروات وبالقوة وبالتأثير السياسي، أعطى لوثر الحكومة المدنية طبيعة إلهية، ورأى أن الحكومة المدنية التي تستمد سلطتها على النحو الذي قرر من الله ضرورة، لأن الأغلبية العظمى من الإنسانية ليسوا مسيحيين كما قرر أنّ الرائد المسيحي هو الإنجيل، وأنّ هذا الإنجيل كاف وحده دون الكنيسة ورجالها، أما غير المسيحيين فليس لهم رائد آخر وهو الحاكم المدني الذي يسعى إلى تحقيق السلام والنظام ويعود لوثر مرة أخرى فيقرر أنّ الإنجيل يحث المسيحي على الخضوع للحكومة المدنية، وأنّ من واجب المسيحي أن يطيع الأمير ويدافع عنه حتى لو كان الأمير مخطئا وعلى هذا النحو يكون على الجميع تنفيذ أوامر الأمير سواء أكانوا مسيحيين أو غير مسيحيين، فعل الشعب بأسره واجب الطاعة.[1]

2-أسباب نجاح حركة الإصلاح الديني لمارتن لوثر:

أولا: من الأسباب التي أدت إلى نجاح حركة مارتن تكدس الثروة في الخزينة وعند رجال الدين فحيث كانت الطبقات الأخرى مثل طبقة الفلاحين تعاني من سوء الحالة الاقتصادية والاجتماعية، ومنذ اللحظة الأولى جذبت دعوة لوثر الفلاحيين إليها فقد رأوا فيها منفذ للخلاص من ظلم الاقطاع بشكليه الروحي والذهني ورأوا في لوثر زعيما روحيا، ومصلحا اجتماعيا ربما يتبنى قصتهم ويدافع عنها.[2]

ثانيا: إنّ الإنسان في بداية العصور الحديثة بدأ يهيمن على تقليده الآراء والأفكار الحرة وشرع يستخدم عقله في الحكم على الأشياء ولم تعد العادات والتقاليد الدينية مقبولة لديه بل إنها قد رفضت، خاصة تلك العادات والتقاليد التي استجدت على المسيحية إبّان العصور الوسطى.

---

[1]– علي عبد المعطي، مرجع سابق، ص191.

[2]– ميلاد المقرحي، تاريخ أوربا الحديث والمعاصر من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الثانية، ط 1، منشورات الجامعية المفتوحة، 1991، ص44.

ثالثا: لم يتخذ الإمبراطور فعليا لمقاومة الحركة إلا بعد انقضاء ثلاثين سنة من قيامها، وبعد أن ازدادت قوة الحركة وأنصارها كما أن الدولة الأوربية الأخرى لم تتدخل في شؤون ألمانيا في هذه الفترة بل كل الصراع بين لوثر وأنصاره من ناحية والبابا والإمبراطور من ناحية أخرى.

رابعا: لقد إدّعى لوثر أنّ ألمانيا ينبغي أن تكون للألمان فحسب ومن هذه الزاوية تعتبر حركة لوثر ذات جانب قومي، فقد رحب الألمان بهذه الفكرة بسبب معاناتهم من التدخل الخارجي في فترة طويلة من الزمن وقد كره الألمان البابا لأنه إيطالي والإمبراطور إسباني وساعد شعور الكراهية هذا على اتفاق العناصر الألمانية حول لوثر وهكذا لم يعد لوثر مصلحا دينيا فقط بل زعيما قوميا أيضا، ولهذا نجحت دعوته بأنها دعوة إلى التحرر من السيطرة الأجنبية.[1]

وبالرغم من أنّ مارتن لوثر يعتبر من أهم المفكرين الذين نادوا بالإصلاح الديني إلاّ أنّ الفترة التي عاشها لوثر تميزت بظهور كثير من المفكرين والمصلحين الدينيين الذين نادوا بآرائهم في الإصلاح الديني.

جان كالفن: ولد جان كالفن عام 1509 بفرنسا، تابع دراسته في كل من باريس وأورليان وبورغ اهتم بدراسة علم اللاهوت والحقوق الشيء الذي جعل له ثقافة مزدوجة، كما تذوق المنطق والبناء وحساب القانون والدولة، دعم المذهب البروتستاني والإصلاح الديني في جنيف بسويسرا، تميزت كتابات جون كالفن بالنسقية والمذهبية، فلقد قدم لنا مذهبا نسقيا مترابطا نشعر فيه بفهم أعمق، ومنطق أوثق وتأثيرا أشمل فهو الذي أعطى لحركة الإصلاح الديني أساسها القانوني.[2]

وكان كالفن متمرسا بالقانون وكان فرنسيا وبهاتين الصفتين يمكن تفسير نواحي الإعجاب والتقدير الذي لاقاه منهجه وتفكيره، وما تركته كتاباته من آثار لا تمحي في نفوس وعقول الكثيرين، فقد هاجم كالفن قادة حركة الإصلاح الديني المتحمسين لاستنباط نظريات ثورية اجتماعية من الإنجيل، وشيد تفسيرا يرتكز على مبادئ قضائية تحدد أي اضطراب

[1]– ميلاد المقرحي، مرجع سابق، ص45.

[2]– نور الدين حاروش، تاريخ الفكر السياسي، مرجع سابق ذكره، ص290.

وتمايز بين الأناجيل وبين كتابة اللاهوتيين القدماء، وعاد إلى فكرة الفصل بين السلطة الروحية وبين السلطة الدنيوية، ورأى أن السلطة الدنيوية ليست أقل أهمية من السلطة الروحية، وأنّها لازمة للإنسان لزوم الطعام والكساء، كما ذهب إلى أنّ مهام الحكومة المدنية ترتكز في رعاية البقاء الفيزيقي للإنسان، وحفظ النظام وحماية الممتلكات، وتحقيق الحريات وإشاعة الروح الإنسانية بين المواطنين.

أما عن أشكال الحكومات فإنّ كالفن يرى أنه لا فارق كبير بين الشكل الأرستقراطي والشكل الديمقراطي مع أنه كان يميل إلى الشكل الأرستقراطي، كما ذهب إلى أن كل نظام سياسي إنما يختلف من النظام أو النظم الأخرى طبقا للظروف الاجتماعية والاقتصادية للمجتمعات وطبقا لاختلافات الزمان: ولكن كل نظام من هذه النظم يكون سليما طالما أنّه يحقق العدالة أي أنّ معيار تفضيل نظام عن آخر هو مدى تحقيق هذا أو ذاك لفضيلة العدالة، أما عن واجب الحكام الدنيويين فإنّه يركز في رعاية وحماية الدين، والتأكيد على أعمال التقوى، وتحقيق أمن وسلامة الدولة، كما وجب على الرعايا إطاعة حكامهم ولكنه حدد هذه الطاعة في حدود إطاعة الحاكم للأمر الإلهي، بمعنى أن للرعايا حق عدم طاعة الحاكم الذي يخرج عن الأوامر الإلهية، وهذه نقطة تحول خطيرة جاء بها كالفن في الحقل السياسي لحركة الإصلاح الديني.

وفي الأخير نقول لقد آمن لوثر بالحرية الفردية ولكن تطبيق مبادئه أسفر عن نظام استبدادي لاستعانته بالأمراء في حكمهم الفردي، عكس كالفن الذي آمن بالنظام أو السلطة المطلقة ولكن تطبيقها شجع على تقرير الحريات الفردية، في حين جند لوثر السلطة السياسية لإخضاع السلطة الدينية لها وأنشأ الكنيسة القومية، بينما كالفن طالب بفصل الكنيسة عن الدولة تماما ومنع الدولة في التدخل في شؤون الكنيسة الشيء الذي ساعد على تقرير الحريات الفردية الدينية والسياسية.[1]

وكل ما يمكننا قوله أنّ كل من كالفن ولوثر أيّدا الحكام والسلطة الزمنية وأعطوها مرتبة أعلى، كما أقروا بالطاعة للحكام شرط أن يبادلوهم نفس التأييد، كما كانت لأفكارهما دور كبير وهام في نشر الوعي وتطوير الفكر السياسي.

[1]– الفكر السياسي الغربي، المرجع سبق ذكره، ص297.

ثانيا :حركة الاصلاح السياسي:

1-ميكيافيلي:

ولد ميكيافيلي عام 1469م، بمدينة فلورنسا، أبوه كان محاميا بارزا في فلورنسا وينتمي إلى طبقة البرجوازيين مارس عدة مهام سياسية ودبلوماسية وكان بصورة خاصة سكرتيرا في وزارة الخارجية سنة 1497م، ومكنه هذا المنصب من القيام بعدة رحلات والتعرف على الشخصيات الديبلوماسية الأجنبية وإدراك أهمية القوة السياسية لهذه الدول خاصة دول الجوار (فرنسا واسبانيا وبريطانيا)، الشيء الذي أحزنه وهو يرى أن هذه الدول بلغت شرطا كبيرا في القوة والعظمة والحضارة مقارنة مع ايطاليا التي لا زالت تحت وطأة الصراعات الداخلية وهشاشة نظامها وفقدانها الحكومة المركزية القوية تجابه بها الأعداء، بل كانت في مركز ضعف قبلة للأطماع.[1]

كانت إيطاليا في عهد ميكيافيلي مقسمة إلى خمسة دول أو أقاليم وهي:

1- مملكة نابولي في الجنوب.

2- دقيه ميلان في الشمال الغربي.

3- جمهورية البندقية في الشمال الشرقي.

4- جمهورية فلونسا.

5- الدولة البابوية في الوسط.

بالإضافة على هذه الدول الكبرى، هناك العديد من الدويلات الصغيرة المستقلة والتي كان يحكمها طغاة، هذا يعني أن ايطاليا كانت تفتقر إلى حكومة مركزية قوية شبيهة بتلك الموجودة عند الجوار، زيادة على هذا فقد عمّت الفوضى والفساد الأخلاقي والاجتماعي والسياسي مما أدى إلى نشوب الحروب الأهلية التي كانت تندلع من حين لآخر بين هذه الدويلات، في هذه الأثناء راح ميكيافيلي يبحث عن السبيل الكفيل لإخراج ايطاليا من هذا

[1]- نور الدين حاروش، تاريخ الفكر السياسي، طبعة ثانية مزيدة ومنقحة، دار الأمة، 2009، ص279.

المأزق ويوجد بين صفوفها ويخلق الروح الوطنية والشعور بالانتماء من أجل بناء دولة قوية حرة بعيدة عن الصراعات.

2- الفكر السياسي عند ميكافيلي

للتذكير فإنّ ميكيافيلي كان معجبا بالجمهورية الرومانية واعتبرها مثله الأعلى، حيث أعجب بمؤسساتها السياسية، وكان يرى أنها تمثل ذروة ما حققه الإنسان من أنواع وصور الحكم.[1]

إنّ المنطلق الذي اعتمد عليه في تحليل الواقع الإيطالي هو أن ينبغي فصل الأخلاق والدين عن الدولة لأنهما يخضعان للقوانين السياسية التي تقوم على أساسها، والدولة بقوتها هي التي تجعل باقي الأمور قوية وحسنة وتنعم الناس بفوائدها والعكس إذا كانت ضعيفة فتتدهور الأوضاع وتعم الفوضى، وأن الصفات الأساسية التي يقترحها على الأمير ويرجوه أن لا يحيد عنها هي:

-عدم الانفعال.

- الاستفادة من الفرص التي تتاح له.

- أن يكون له من القوة ما يمكنه من ارتكاب المعاصي.

- إذا اقتضت مصلحة الباد ذلك.

- أن يكون نبيها ولبقا بحيث يفهم نفوس البشر جيدا.

- أن يكون على استعداد لمحاربة الشر بالشر.

- أن يستعمل الناس لقضاء أغراضه حسبما تتطلب الظروف.

- أن يكون واثقا من نفسه ولا يهاب ولا يتردد.

- أن يتخلص من الجنود المرتزقة وينشئ جيشا وطنيا من أبناء بلاده.

[1]- نور الدين حاروش ، المرجع نفسه، ص283.

وهذا الأمير أو الحاكم يفضله ميكيافيلي أن يكون محبوبا ويخافه الناس، ولكن الجمع بين الحب والخوف صعب، لذا يفضل الخوف عن الحب، أي يجب أن يكون مخافا مهابا بدل أن يكون محبوبا، حتى لا يسئ الناس إليه بسهولة، لأن المحبة بنت المصلحة الشخصية المرتبطة بالمنفعة بينما علاقة الخوف من العقاب فتبقى ثابتة ولا تتأثر بأي عامل زمني عكس المحبة التي تنتهي بزوال المصلحة، إنّ نجاح الأمير يتوقف على مروءته وجرأته وشخصيته لتحقيق المصلحة العليا وقد يرتكب بعض الجرائم السياسية ويبعث الرهبة في قلوب البشر وهو يسعى إلى ذلك، ومن جهة أخرى فإنّ الناس حسبه شرهون ونفعيون حيث يستسلمون لموت أحد أفراد العائلة أو أي قريب بسهولة أكثر مما يفعلون لخسارة أو فقدان ميزاتهم لذلك على الحاكم أن يتظاهر بالتدين والتقوى والتسامح وحماية الملكية الفردية، وهذا للحفاظ على السلطة السياسية واستمراريتها، كما يصور للناس بأنهم حسودون وغيورون وهم كاذبون ومخادعون في حياتهم كما أنهم خائفون وجبناء خاصة من العقاب، ولذلك يجب على الأمير أن تكون له قوة الأسد ومكر وخداع الثعلب.[1]

لم يكن ميكيافيلي مبال للأخلاق والدين من آثار في نفسية الجماهير على الجماهير على الحياة الاجتماعية والسياسية، وكان يقر استخدام الحكام وسائل غير أخلاقية لتحقيق غاية أو مصلحة البلاد، إنّ فصل الدين عن الدولة في نظر ميكيافيلي لا يعني كراهية للديانة المسيحية، لكنه عارضها معارضة شديدة، لأن الدين حسبه يعلم فضائل مغلوطة فهي أي المسيحية تعلم الخضوع والذل وانكار الجسد واعطاء الخد للآخر للطم ثم تأجيل أمل الإنسان في الفرح والسعادة إلى ما بعد الموت، وهو بذلك عكس هذه الصفات ومن جهة أخرى يرون أن الدين هو وسيلة في يد الحاكم يسلطها على رؤوس المحكومين، ولهذا اعتبر من ألذ أعداء البابوية التي كانت تتهمه بالإلحاد والخروج على تعاليمها، وأما أهمية الدين بالنسبة لحاكم حسبه فتكمن في سهولة قيادة الشعب، كما أنه يعمل على تقوية وحدته وزيادة تماسكها.[2]

[1]– نور الدين حاروش، مرجع السابق، ص285.

[2]– محمد بن فتح الله خطيب، مبادئ العلوم السياسية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص102.

أما الإنجبيل بالنسبة لمكيافيلي فقد أضعف الهمم وقدس المتواضعين وجعلهم يميلون إلى التأمل بدل الانصراف إلى الحياة الناشطة، والأكيد أن هذه اللاتينية وهذا التمجيد للدولة تمخضت عنه عدة نتائج منها:

-عداء للإمبراطورية ولكل ما يذكر بالكونية المسيحية.

- احتقار الأرستقراطية.

- مفهوم واقعي بشكل خاص للعلاقات بين الدول.

يفضل ميكيافيلي النظام الديمقراطي في حالة وجود مساواة اقتصادية وقد أعجب بالنظام الجمهوري الذي وجد في القديم، وأشار على أنه يجب وجود مواطنين يتميزون بالذكاء والشعور العام حتى تقوم الحكومة الجمهورية، وقد عارض النظام الأرستقراطي لأنه يفرق بين الشعب، ولكن يبقى أفضل الأنظمة على الإطلاق هو الحكم الملكي ويكون بإنتخاب الحاكم الملك وهو ليس الحكم الملكي ويكون بانتخاب الحاكم الملك وهو ليس الحكم الملكي المتوارث المعروف.

كما أنّ الحكم الجمهوري يفتح المجال أمام الكفاءات ويحقق المساواة، بينما النظام الملكي باعتماده على مبدأ الوراثة يتنافى مع العدالة والمساواة، كما أنه لا يحترم الكفاءات، إضافة إلى ذلك الحكم الجمهوري الشعبي أكثر احتراما للاتفاقيات والمعاهدات الدولية، إذ وجد أن المصلحة الخاصة تتضرر حتى لو أدى ذلك إلى الأضرار بمصالح شعبه.[1]

وقد كان الشعب بالنسبة لأغلب المفكرين الذين سبقوا مكيافيلي كما مهملا، لا قيمة له ولا دور ولكنه أصبح معه وبفضله قوة فاعلة ذات أهمية، يبدوا أن الواقعية السياسية التي انتهجها مكيافيلي بإضافة إلى موقعه النقدي من دور الكنيسة والإقطاع جعلت منه صاحب رؤيا، إلا أن رؤيته تهدف إلى الإصلاح السياسي ويجب على الأمير أن يحافظ على صداقته مع الشعب، وأكد على ضرورة اشتراك الشعب بالحكم معتبرا أن هذا الاشتراك

[1]- نيقولا مكيافيلي، الأمير، تر: خيري حماد، تق: كريستيان غاوس، ت عليق: بنيتو موسوليني، تعقيب فاروق سعد، دار الأفاق الجديدة، ط24، بيروت، لبنان، 2002، ص249.

سيؤدي إلى الاستقرار الحكومي، [1] وعلى الرغم من أن الشعب غير فاهم للسياسات الدقيقة للدولة، فإنه يكون أصلح من الأمير في الحكم على فساد إدارة الولاة العموميين الفاسدين لكن أيضا مكيافيلي كان مرتبطا بالشعب، لأنه كان ينتمي إلى الطبقة البرجوازية، وأن الشعب لدى مكيافيلي مهم لأن أهداف الشعب من أهداف النبلاء، وإن ثورات الشعب الحر نادرا ما يسئ لحيرته وإن محبة الشعب ضمان أكيد لاستمرار الأمير في منصبه وأن محبة الشعب خير وقاية وعلاج لمخاطر المؤامرات والدسائس التي تهدد الأمير، وأنّ الشعب هو المادة البشرية الموثوقة التي يعتمد عليها الأمير في تشكيل الجيش الوطني الذي يحافظ على وجود الدولة واستقرارها واستمرارها وأن ميكيافيلي لم يفضل حكم الشعب بل فضل نظام الحكم الجمهوري.[2]

كما نجد أن ميكيافيلي في كتابه الأمير يميز بين أنواع الحكومات ما: جمهوريات عادلة وما ملكيات معتدلة: والملكيات نوعان:

-إما تكون جديدة في كل شيء كما كانت إمارة "ميلانو"

- وإما ملحقات جديدة أتبعت بممتلكات الأمير الوراثي الذي ضمنها على ممتلكاته، مثل إمارة "نابولي" التي ضمنها ملك اسبانيا إلى أملاكه.

كما يشرح ميكيافيلي في كتابه الأمير الطرق والوسائل التي يتمكن بها الأمراء من التغلب على الأمم والتحكم فيها فالملكيات نوعان:

أ-ملكية ورائية. ب- ملكية استيلاء.

أ) **الملكية الوراثية:** لا يتحدث عنها كثيرا لأن هذا النوع من السهل أن يحكم الأمير فهو لا يحتاج إلى حيلة من حيل السياسة لتعود شعوبها إلى أسرة حاكمة، أقل صعوبة من الاحتفاظ بملكيات جديدة، إذا يكفي في هذه أن لا يضطر المرء إلى الاعتداء على المألوفات الوراثية، وأن يكيف نفسه لظروف لم يكن يتوقعها، ويستطيع الأمير بهذه

[1]- نيقولا مكيافيلي، الأمير، المصدر السابق، ص250.

[2]- عبد الرضا حسن، الطعان: مدخل إلى الفكر السياسي الغربي الحديث المعاصر، دار السنهوري، ط 1، بيروت، لبنان، 2018، ص31.

الطريقة، مهما كان ضعيفا في السياسة أن يصون دائما مركزه إلا ذا طرأت قوى استثنائية تحرمه عرشه، لكنه حتى لو حرم وطرد من عرشه يمكنه أن يسترده لو انتهز الفرصة الجديدة.[1]

ب) الإمارات المختلطة أو إمارة الاستيلاء

فيقول: أن التاريخ يعرف من المماليك نوعين يحكمان بطريقتين مختلفتين:

1-الإمارات الغربية وهي مملكة فرنسا.

2-الإمارات الشرقية وهي حكومة الأتراك.

وعليه ينبغي للفاتح الجديد أن ينصب نفسه حاكما على الولايات المجاورة، ويضع نفسه موضع المدافع عنها، وذلك لأن الولايات المغلوبة كثيرا ما تستغيث بجيرانها، فيهرع إليها جر قوي طمعا فيها، أو خوفا من امتداد نفوذ فاتحها إلى ولايته.

إذن ميكيافيلي يرى أن جميع الحكومات والممالك التي حكمت الجنس البشري في الماضي أو تتولى حكمه الآن في أحد الشكلين، إما جمهوري أو ملكي وإن الملكيات إما تكون وراثية أو حديثة العهد والنشوء.[2]

إن واقعية ميكيافيلي جعلت ما كتب يحدث ضجة في الأوساط السياسية، وبما أن أفكاره وأراءه ونصائحه جاءت بعد تجارب ووقائع أي أنها قابلة للتجسيد، فقد استفاد منها الكثير من السياسيين وأذكر على وجه الخصوص نابليون وهتلر وموسيليني وغيرهم من الديكتاتورين (أغلب حكام دول العالم الثالث).فالسياسة عنده وهي غاية في حد ذاتها وعلى الحاكم أن يبتعد على الأفكار المسبقة ويهتم بالدرجة الأولى بالدولة وحريتها منكرا في ذلك التشريع الإلهي والقانون الوضعي وشكل الحكومة، وفن الحكم الذي يتمثل في استخدام القوة الجائرة والاستعانة بالمغريات وحسم الأمور والاحتفاظ وإنشاء جيش قومي عوض الجيش المرتزقة الذي لا جدوى منه لفقدانه الحس الوطني.

---

[11]- ابراهيم شمس الدين، ميكيافيلي أمير الفلسفة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1994، ص ص56، 57.

[2]- نيكولا مكيافيلي، الأمير، تر: محمد لطفي جمعة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، د.ط، القاهرة، مصر، 2012، ص39.

المبحث الثالث: تأسيس نظرية العقد الاجتماعي:

1- نظرية العقد الاجتماعي:

تعبر نظرية العقد الاجتماعي من أولى النظريات التي ظهرت في القرن السادس عشر ميلادي والتي أخذت على عاتقها فلسفة الدولة في نشأتها وطبيعتها ووظيفتها، وبدأت دراستها للأصل الاجتماعي وتطوره وغايته كمقدمة لدراسة فلسفة الدولة والظاهرات السياسية، ومن أبرز الفلاسفة الذين ناقشوا هذه المسألة نجد كل من توماس هوبز وجون لوك ثم بعد ذلك جون جاك روسو.

وإذا ما نظرنا إلى خلفية أنصار هذه النظرية نجدهم ينطلقون من فكرتين أساسيتين الأولى تتعلق بحقيقة النسان والثانية بالمجتمع، بالحياة السياسية، لا شك أن الدارس لجذور هذه النظرية يجد أن أول من قال بها هم الرواقيون الأوائل، كما ظهرت عند الرومان مع الفقيه "سينيكا"، الذي يقسم التاريخ البشري إلى مرحلتين متمايزتين احداهما قبل قيام المجتمع السياسي (الدولة) والأخرى بعده، ففي المرحلة الأولى كان الناس يعيشون في الحالة الطبيعية لا يخضعون إلا لقانون الطبيعة.[1]

ولقد عرفت هذه النظرية عدة تطورات حتى وصلت إلى فترة الازدهار التي كانت بين القرنين الأولين من العصر الحديث ومن بين الفلاسفة الذين عالجوا هذه النظرية نجد جون لوك، ففيما تمثلت آراءه حول نظرية العقد الاجتماعي؟

2-مفهوم العقد الاجتماعي:

مفهوم العقد لغة: يعرفه ابن منظور في لسان العرب بأن العقد هو نقيض الحل، عقده يعقده عقدا أو تعاقد وعقدة، قال جرير أسيله معقد السمطين منها وريا حيث تعتقد الحقابة، وقد انعقد وتعقد والمعاقد مواضع العقد، والعقدة هي حجم العقد والجمع عقد وخيوط معقدة ويقال عقدت الحب فهو معقود، وكذلك العهد ومنه عقده نكاحا، والمعاقدة هي المعاهدة والميثاق والعقد هو العهد، وجمع عقود وهي العهود ويقال عهدت إلى فلان كذا وكذا وتأويله

[1]– محمد محمود ربيع، الفكر السياسي الغربي فلسفاته ومناهجه من أفلاطون إلى ماركس، دون ط، مطبوعات جامعة الكويت، د.س، ص203.

ألزمته ذلك، فذا قلت عاقدة عقدت عليه تأويلا أنك ألزمته باستيثاق والمعاقدة في المعاهدة وعاقدته أي عاهدته وتعاقد القوم أي تعاهدوا.[1]

مفهوم العقد اصطلاحا: فأعقد هو مصدر عقد، وجمع عقود هي عهود، وهو اتفاق بين طرفين يلتزمان بمقتضاه تنفيذ بنوده.[2]

فقد عرّف أندري لالاند في موسوعته الفلسفية العقد بأنه اتفاق يلتزم بمقتضاه شخص أو عدة أشخاص اتجاه شخص أو عدة أشخاص لتقديم شيء ما بالقيام أو عدم القيام بشيء وفي الفلسفة بنحو أخص يقال عقد على ما يكون ثنائي الطرف أو متعدد الأطراف أي ما يتضمن التزامات أو تعاهدات متبادل.[3]

أما جميل صليبة في معجمه الفلسفي يرى بأن للعقد عدو معاني وهي:

العقد في القانون هو اتفاق شخصين أو أكثر، يلتزم كل منهم بمقتضاه دفع مبلغ من المال أو أداة عمل من الأعمال لشخص آخر، أو لعدة أشخاص، والعقد في فلسفة الأخلاق هو ارتباط حربين شخصين أو أكثر وهو مرادف عهد، وعقد العم هو اتفاق يلتزم الشخص بمقتضاه أن يعم في خدمة شخص آخر بقاء أجر معين، أما العقد الاجتماعي contra sociale فهو اتفاق أفترض بين أفراد المجتمع يوجب على كل منهم وهو في الحالة الطبيعية، أن يعهد في شخصه، وفي ك ما لديه من قدرات إلاّ الإرادة العامة.[4]

ومن هنا فإنّ أغلب المفاهيم والتصورات اتفقت على مفهوم العقد فهو عبارة عن اتفاق أو التزام أو مجموعة العهود التي يلتزم بها أفراد المجتمع.

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب، مجلد3، د.ط، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1928، ص 296–297.

[2]– جبران مسعود، معجم الرائد، ط1، دار الملايين، المؤسسة الثقافية للنشر والتوزيع، بيروت، 1984، ص1038.

[3]– أندري لالاند، موسوعة أندري لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد، إشراف عويدات، المجلد 1، منشورات بيروت، ط2، باريس، 2011، ص224.

[4]– جميل صليبة، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج1، د.ط، بيروت، 1982، ص62.

3-الحالة الطبيعية والعقد الاجتماعي عند هوبز:

توماس هوبز: فيلسوف غربي ولد في 5 أفريل 1588 في ويست بورت، في انجلترا، وكانت ولادته قبل أوانه، وذلك بسبب الخوف الذي أثار والدته، ولذلك يقول في وصف نفسه "أنا والخوف توأمان" وهو أحد كبار فلاسفة القرن 17م كانت له اهتمامات كثيرة في الفلسفة السياسية والتاريخ والأخلاق والهندسة والرياضيات ويعد من الفلاسفة المؤسسين لعقد الاجتماعي.

يعد هوبز من الفلاسفة الذين ساندوا نظرية الحكم المطلق وقد أكد في مؤلفاته على ضرورة الطاعة المطلقة من قبل الشعب للحاكم وأن الشعب بدون حاكم أشبه بالجسم بدون رأس، ولذلك فإنّه يعتقد بأنه ا وجود لأمر ثالث بين سلطة الحاكم المطلقة وبين الفوضى الكاملة، وأنّه من الضروري تركز السلطة بيد الحاكم الذي يجب أن يكون سلطانه غير محدود ولا وجود لسلطان آخر إلا بإذنه، وإن السيادة لا تقبل الانقسام ولا التحويل وإن جميع سلطات الحكم كاملة في الحكم، وأعفى هوبز السيادة من القيود، وأكد أنه لا يجوز مقاومة سلطة الحاكم، إن كان موفرا الأمن لرعاياه وهو السبب الوحيد لخضوع الرعايا، فالحجة الوحيدة في تأييد الحكم هي أنه في الحقيقة يحكم، وفي حالة حدوث المعارضة أو المقاومة ضد الحاكم وفقد سلطته فإنه لا يعود حاكما، ولا رعاياه رعايا وعندئذ يلجؤون إلى مواردهم الفردية لحماية أنفسهم وقد يمنحون طاعتهم وبحق لحاكم جديد يستطيع حمايتهم .[1]

ويعتقد هوبز أن الحاكم يجب أن لا يخضع للقوانين المدنية ويعلل ذلك بأن القوانين بوصفها تقرر فقط المبادئ المعقولة التي يمكن أن تقام على أساسها دولة، فإنها ليست قيود على السلطة الحاكمة لأنه ليس هناك قانون مدني يناقض قانون الطبيعة، وقد تكون الملكية حقا طبيعيا ولكن القانون المدني لا يلغي الملكية وهو ليس قانونا طبيعيا، لذلك فإنّ الذي يقيد الحكم ليس قانون الطبيعة ولكن قوة رعاياه.[2]

وبيّن هوبز أن الأفراد عندما تنازلوا عن حقوقهم الطبيعية إلى حاكم يتصرف بها نيابة عنهم وحفاظا عن أنفسهم وهم في مرحلة (حالة الطبيعة) فيجب أن يكون ذلك الحاكم مطلقا

[1]–سباين جورج، تطور الفكر السياسي، ترجمة: راشد البراوي، ج3، ط1، القاهرة، 1971، ص636.

[2]– مرجع نفسه، ص 639.

في الحكم ما دام السبب الوحيد لإنشاء الحكومة هو سلامة الناس، على أن يكون الحكم المطلق في الحاكم مستندا إلى رضا الشعب وليس إلى الحق الإلهي وهكذا يمكن أن يتخذ مذهبه لتبرير أي حكومة قائمة طالما كانت تحكم.[1]

وأكد هوبز أن السيادة يجب أن تكون وفق عقد بين الأفراد الذين قرروا أن يكون لهم ملك، ثم تسليم الدولة للاتفاق المتبادل، الحقوق التي احتفظ بها الأفراد أعاقت سلم البشرية، لأنّ الدافع والهدف هو الحفاظ على أمنه الشخصي.

كما ذهب هوبز في كتابه "الوحش"، إلى أنّ الملك يحكم وفق قانون لا رجوع فيه، تنازل بمقتضاه الأفراد للملك على كل حق، وأصبح الحاكم منذ تلك اللحظة ذا سلطان كامل على الأفراد لأنهم تنازلوا طواعية ولمصلحتهم عن كل حق لهم، وعلى ذلك فطغيان الحاكم شيء مشروع، فالعدل هو ما يراه عدلا، والدولة ممثلة في الملك لها كل الحقوق، وهي بمثابة روح لذلك والجسم الضخم وهو الشعب، وهي أشبه شيء بذلك العملاق المخيف الذي أطلق عليه اسم (اللوفيافان) " louithan" عام 1651م في كتابه المذكور، ومن هنا نجد كيف استغل هوبز نظرية العقد في تبرير طغيان الحكم في القرن السابع عشر، لتبرير حكم أسرة (آل ستيوارت) في انجلترا.[2]

وفي نفس الكتاب يشير هوبز إلى أن الحالة الطبيعية الأولى هي حالة من البؤس الكامل وحرب الكل ضد الكل، حيث يسعى كل نسان وراء مصالحه الذاتية الأنانية ولا يختلف أو يهتم بمصالح الآخرين لذلك فإن عقدا اجتماعيا هو الطريق الأفضل للخلاص من حالة الطبيعة ليضع حدا لتلك الحالة ويحول قوى وسلطات المتعاقدين إلى حاكم مستبد ومطلق وفي تلك الحالة لا يكون للمتعاقدين أية حقوق وتنتقل جميع الحقوق والسلطات إلى الحاكم الذي تم اختياره والذي لا يخضع للقوانين.

إنّ " هوبز" يؤكد على أنّ العقد كان قد أبرم بين الأفراد المحكومين فيما بينهم وأما الحاكم فلم يكن طرف في إبرامه، وقد تنازل المحكومين بموجب هذا العقد عن جميع حرياتهم

[1]– جون جاك شوفالييه، الموسوعة الفلسفية، المؤلفات السياسية الكبرى من مكيافيلي إلى أيامنا، تر: إلياس مرقس، بيروت، 1980، ص ص53-55.

[2]– مرجع نفسه، ص 58.

الطبيعية مرة واحدة وإلى الأبد إلى الحاكم أو الملك فأذابوا شخصياتهم بذلك شخصياتهم في إرادته، فله بذلك أن يتصرف بحريات المحكومين وفق مشيئته ولم يعد هناك حق للمحكومين في محاسبة الحاكم، حتى وإن أساء التصرف بسلطته فإن لم يكن طرفا في العقد قد التزم بشيء نحوهم، إنّ الحاكم في هذا التصور كان قد تلقى حقوقا من دون أن يلتزم بأي واجب نحو المحكومين فبرر بذلك هوبز سلطات الحاكم المطلقة وأعفاه من كل مسؤوليته نحو المحكومين.[1]

إنّ هوبز كما أسلفنا كان يرى أنّ العقد الاجتماعي ما هو إلا اتفاق الأفراد فيما بينهم على إقامة سلطة مطلقة، يأتمر الجميع بأوامرها ويلتزم بتنفيذ قراراتها.

لكن "جون لوك" في كتابه الحكومة المدنية يقف موقفا مخالفا ل " هوبز" وهو موضوع دراستنا فقد خصصنا له فصلا لندرسه دراسة معمقة لنبين مفهوم العقد الاجتماعي.

[1]– جون جاك شوفالييه، الموسوعة الفلسفية، المرجع السابق، ص 59.

الفصل الثالث: فلسفة جون لوك السياسية بين التأثر والتأثير

المبحث الأول: جون لوك

المبحث الثاني: المؤثرات الفكرية في فلسفة "جون لوك"

المبحث الثالث: مفهوم الدولة

المبحث الرابع: مدى تأثير فكر لوك السياسي:

المبحث الأول: جون لوك:

ترجع أهمية " لوك" في أنه أول من وضع مشكلة المعرفة الإنسانية في تاريخ الفكر الفلسفي موضع البحث المستقل المنظم عندما أصدر كتابه " مقال عن الفهم الإنساني" الذي يعتبر أول محاولة جدية في هذا الصدد، وأنه كان بمثابة مرحلة انتقال ضرورية في القرن السابع عشر وذلك لاستيعابه للاتجاهات التجريبية عند " بيكون"، ونتائج العلوم الطبيعية عند كل من "جاليلو" galilo و" نيوتن" وتقديمها في فلسفته التجريبية النقدية تعبيرا تمهيديا تطوريا لفلسفة جديدة اتضحت معالمها عند " هيوم" و" رسل"، " وليم جيمس".[1]

وترجع أهمية أيضا أنه وجه أنظار الناس في عصره لكي يفكروا بطريقة أكثر تعمقا في المشكلات التي كانوا يتناولونها من قبل بطريقة سطحية، وخاصة مشكلات المعرفة من حيث أصلها ودرجة اليقين فيها.

كما أنه قدم لمعاصريه دراسات هامة وقيمة وخاصة في التفرقة بين الصفات الأولية والصفات الثانوية، وتحليل فكرة الجوهر، وتحليل اللغة ومعاني الكلمات.

إنّ أهمية "لوك" لم تكن مقصورة فقط على ميدان الفلسفة، بل تعدته وانتقلت بطريقة طبيعية إلى ميدان السياسة والتنظيم الاجتماعي، وحركة التحرير الكبرى التي سادت أوربا في القرن الثامن عشر، لم تكن سوى امتداد طبيعي لفلسفة " لوك" تلك الفلسفة التي كانت تقوم على احترام القيم الإنسانية والحرية الفردية سواء في الدين أو الفكر أو السياسة، وتنادي بتحرير الفرد الذي كان قد انطمست شخصيته في ظل استبداد الكنيسة، وتلاشت حقوقه وانصهرت في نار طغيان الملوك وتعصبهم، فأصبحت حياته كلها واجبات بلا حقوق.

2-حياته وأعماله:

ولد " جون لوك" في قرية سومرست Somerset في29 أغسطس عام 1632 ونشأ في انجلترا على المذهب البروتستانتي التطهيري Puritanism، كان أبوه محاميا اشترك في صفوف البرلمان حين اندلعت الحرب الأهلية (بين أتباع الملك شارل الأول وأتباع

[1]– أمل مبروك، الفلسفة الحديثة، د. ط، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2011، ص 140.

البرلمان)، فكانت هذه البيئة التي نشأ فيها من أكبر العوامل التي أدت إلى تفتح ذهنه على الأفكار السياسية السائدة في ذلك الوقت، وتوجيه نظره إلى الاشتغال بالسياسة فيما بعد.

ويمكننا أن نحدد ثلاث أحداث هامة هي التي وجهت مسار حياة " لوك" على النحو التالي:

أ)- **الحدث الأول:** انتقاله من قريته (سومرست) إلى لندن عام 1642 للدراسة في مدرسة "وستمنسر"، ثم انتقاله إلى أكسفورد لكي يلتحق بمدرسة الكنيسة وكان ذلك في عام 1656. وفي تلك الأثناء اجتذبت العلوم الطبيعية انتباهه واهتمامه، ويبدوا ذلك الاهتمام من صداقته لأكبر علماء عصره مثل " نيوتن" و " بول". كما بذل جهدا كبيرا في دراسة الطب واستطاع أن يحصل على درجة علمية من أكسفورد تؤهله لممارسة الطب عمليا، لكنه لم يشتغل في مهنة الطب بصفة دائمة ومنظمة.[1]

ب)- الحدث الثاني: تعرفه وصداقته باللورد " أشيلي" Ashiley الذي عرف بعد ذلك باسم " لورد شافتسبري"، والذي كانت له مساهمة كبيرة في ميادين السياسة والأخلاق، وكان يعتبر من أكثر الأشخاص تأثيرا في الحياة السياسية في انجلترا أثناء حكم " شارل الثاني"، وذلك لكراهيته العميقة للاستبداد بكل أنواعه سياسيا كان أم فكريا أم دينيا. وقد انتقلت كراهيته تلك بدورها إلى صديقه " لوك" الذي أصبح بمثابة المدافع عن الحريات في المجتمع الانجليزي.

ج)- الحدث الثالث: شغفه بالمشكلات الفلسفية وكان نشاطه منحصرا في السلطة السياسية، والتسامح، والأخلاق، ونظرية المعرفة، وظهرت فكرة البحث في المعرفة حيث وضع فيها مقال عن " الفهم الانساني" يرجع فيه أفكارنا إلى أفكار بسيطة مستفادة من التجربة.

كما ساهم " لوك" في جميع الحركات الفكرية التي كانت يضطرب بها عصره.[2]

[1]- عزمي إسلام، جون لوك، سلسلة الفكر الغربي، دار المعارف، ط1،مصر، 1964، ص 36.

[2]- المرجع نفسه، ص 38.

2- الاهتمامات الفكرية للفيلسوف وطبيعة العصر:

يجدر بنا قبل أن نتبع النسق الفلسفي عند لوك أن نلقي ببعض الأضواء على المؤثرات التي تأثر بها فكره، والمنابع التي نهل منها وأهم المجالات التي ولع بدراستها، وما نتج عن آرائه المتنوعة من مؤلفات عظيمة أفادت الفكر في عصره فلسفيا، وعلميا وأخلاقيا، وسياسيا، وتربويا.

ففي مجال دراسة اللغة نجده يتلقى منذ حداثة سنه قواعد وترجمة اللغتين اليونانية واللاتينية اللتين اهتم بتعليمهما بشغف كبير ولا سيما وقد درس في مدارس انجلترا في ذلك الحين، غير أنّ هذه الدراسة قد وجهت عنايته إلى مسألة اللغة فأخذ يحللها ويفسر ألفاظها ويتعمق مضامينها.[1]

فذا كانت المعرفة هي جملة ما يوجد في ذهن الإنسان من أفكار. وهي تقوم على أساس الواقع الخارجي وليس من الضروري أن تقوم على أساس هذا الواقع، لذلك تعد اللغة شيئا ضروريا بالنسبة لاستكمال تحليلنا للمعرفة، وعلى الرغم من رفض لوك الأفكار الفطرية إلا أنه كان يرى أن اللغة مفطورة في الإنسان قد زوده الله بها. أي بالاستعداد لها، أما اكتساب لغة دون أخرى فهذا أمر مكتسب واللغة وفق هذا المفهوم، لا تولد مع الإنسان بل إنه يولد وهو على استعداد للتعبير عن أفكاره.[2]

أمّا في مجال الفلسفة فقد أثرى لوك أرائه بما اطلع عليه من أفكار فلاسفة عصره، ولا سيما فلسفة الأفكار الواضحة عند ديكارت، وكان اهتمامه الشخصي، وقراءته الفردية هما المصدر الوحيد لتنمية أفكاره فوجد في وضوح الفلسفة الديكارتية وجلائها ثورة على الفكر في عصره الذي تشبع بروح الفلسفة الأرسطية التي سادت العصر الوسيط- ومما يذكر عن حياة "لوك" العلمية واهتمامه بالفكر أنه قضى فترة نفي في (هولندا) انكب فيها على القراءة والبحث واقتناء الكتب وذلك من دخل بسيط كان والده قد تركه له بعد وفاته، وفي تلك الأثناء عكف " لوك" على البحث والدراسة ومراجعة مذكراته بعمق وتركيز.[3]

---

[1]- راوية عبد المنعم عباس، جون لوك، إمام الفلسفة التجريبية، د. ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1996، ص20.

[2]- المرجع نفسه، ص20.

[3]- المرجع نفسه، ص 22.

وفضلا عن اهتمامه بمجالات اللغة والفلسفة والعلم والتربية والسياسة فقد اهتم بالطب بصفة خاصة حيث دفعه اعتلال صحته منذ طفوته إلى مثل هذه النوع من الدراسة في محاولة للحفاظ على حياته، وقد شجعته صداقته بالطبيب " توماس سيدنهام" على هذه الدراسة وكان الأخير ممن يرفضون الأسلوب التقليدي في ممارسة الطب، وينادي بالاعتماد على الملاحظة Observation في ممارسة العلاج، وربما يكون هذا الاتجاه في ممارسة الطب قد آثر على "لوك" في صياغته لفلسفته التجريبية، [1] فدرس الطب عمليا على نفقته الخاصة في الجامعة، وحصل بصعوبة على درجة علمية فيه في عام 1674 استطاع بمقتضاها أن يمارس مهنة الطب عمليا لكنها لم تصبح مهنته الرئيسية بل كان يزاولها من حين لآخر، وتعد رواية انقاذه لحياة صديقه " لورد شافتسبري" Shaftesbury، أحد العلامات الرئيسية على طريق اهتمامه بالطب العملي، فقد أجرى للورد عملية جراحية أنقذ بها حياته كان من نتائجها أنّ كسب ثقته فأوكل إليه بشؤون أسرته، كما عهد إليه بإدارة سكرتارية مستعمرة أمريكية استطاع " لوك" أن يمارس في صياغة دستورها ما ولع به من مبادئ حب الحرية، واحترام حقوق الإنسان إذ نص فيه على آراء جديدة تضمنت مبادئ الحرية والتسامح الديني.[2]

أرسل لوك بعد ذلك في بعثة دبلوماسية في عام 1665 مارس فيها السياسة عمليا، حيث عمل سكرتيرا لهذه البعثة برئاسة سيروالترفان Sirwalter van التي سافرت إلى حاكم براند نبرج تطلب منه التحالف معه أو التزام الحيدة في حرب هولندا، ومن ممارساته السياسية أيضا أنه أختير للذهاب إلى إسبانيا لشغل منصب سكرتيرا للسفير عام 1666، كما اختير عضوا في الجمعية الملكية 1668، وقد اكتسب الفيلسوف الكثير من الخبرات السياسية في هذا المجال. كما حركت فيه المشاعر الإنسانية، ومبادئ الحرية والمساواة والحق والعدل التي كشفت عنها مؤلفاته السياسية فيما بعد.

أما في مجال السياسة وهي من المجالات التي أولاها " لوك" عناية خاصة فقد كان ثائرا سياسيا، وصاحب آراء ومبادئ في الحرية والمساواة، وقد احتمى في هذا الموقف

[1]–راوية عبد المنعم عباس، جون لوك، المرجع السابق، ص 22.

[2]– عزمي إسلام، جون لوك، المرجع السابق، ص 128.

السياسي باسم صديقه " لورد شافتسبري" الذي أسهم بدور كبير في ميادين السياسة والأخلاق والاجتماع، كما كان من بين المؤثرين سياسيا واجتماعيا في عهد " شارل الثاني" ملك انجلترا، ويبدو أنّ مفهوم عصره كان لا يشجع على الأعمال السياسية والثورية فكان المدافع عن الحرية مهاجما لسياسة، بل ومارقا عن الدين، ولما كان " لوك" ثائرا متحمسا فإنّ حماية صديقه " شافتسبري" ومساندته له في آرائه السياسية والثورية كانت واحدة من العوامل التي أمنته نشر السلطة وساندته فترة من الزمن لا سيما وأنّ صديقه كان مقربا للملك فقد عمل حاملا لأختامه عام 1672.[1]

وجدير بالذكر أنّ الفيلسوف قد خصص بحثيه عن الحكومة لشرح وتفسير وتفنيد الأوضاع السياسية في بلاده وكان هدفه تطبيق – نظرية الحكم المطلق– والتي اختلفت عن وجهة نظر "هوبز" في السلطة. بل عبرت عن السلطة الأبوية وهي السلطة الشبيهة بسلطة الأب عن أبنائه، والتي تستمد مباشرة من السلطة التي منحها الله لآدم.

وحاول " لوك" في بحثه عن الحكومة أن يبحث في مسألة السلطة الأبوية من ثلاث نواحي:

أولا: أنّ سلطة الأب على الأبناء ليست مطلقة أو على الأقل عندما يبلغون سن الرشد.

ثانيا: أنّ العلاقة بين الملك ورعاياه ليست مماثلة للعلاقة بين الأب وأبنائه.

ثالثا: أنه من الصعوبة الشديدة تعقب الانتقال المباشر للسلطة الأبوية من أدام إلى الملك شارل الثاني.

وفي عرضه لمبادئه السياسية يتبع " لوك" التقليد شبه التاريخي الذي كان متبعا في عصره فيتصور أنّ المجتمعات قد ظهرت باعتبارها حالة من حالات الطبيعة الفطرية.[2]

3-مؤلفاته:

تعددت المجالات الفكرية والعلمية التي خاض فيها " لوك" وتراوحت درجة التركيز والاهتمام التي أولاها لكل مجال، فقد كتب في الطب والسياسة والفلسفة والتربية والدين،

[1]– عزمي إسلام، جون لوك، المرجع السابق، ص 130.

[2]–مرجع نفسه، ص 131.

المعرفة، وحملت مؤلفاته أسلوبا علميا راقيا تجاوز التقاليد والموروث الجامد والأفكار المسبقة، وأسس لفكر علمي يقوم على التجربة والاستفادة من نتائجها، وكل ذلك في إطار أخلاقي رفيع يحترم قيم الإنسانية وحريتها في الإبداع والتطور، وفيما يلي عرض موجز لأهم مؤلفات " لوك" التي أنجزها في حياته:

من المثير أن نعلم بأنّ باكورة أعمال " لوك" كانت في الطب، حيث نشر رسالة في التشريح عام (1668) ثم نشر أخرى في " الفن الطبي" عام 1669 حيث أعلن أنّ النظريات العامة توقف سير العلم وأنه لا فائدة إلا في الفرض الجزئي الموجه إلى إدراك العلل الجزئية فيبين بذلك عن اتجاهه التجريمي. (كرم، 142، 1986)

وكان من أعمال " لوك" الشهيرة كانت رسائله في التسامح Message of tolerane حيث كانت رسالته الأولى في عام 1689.[1]

وقد دافع في كتاباته عن التسامح عن حق الأفراد في الحرية الشخصية، حيث يجب أن يكون لكل إنسان الحق الكامل في إبداء آراءه حرا من كل قيد، فليس من الحكمة إرغام الناس على عقيدة معينة أو رأي خاص كما أنّ حرية العقيدة الدينية واجب في عنق الدولة وليس لهذه الأخيرة أن تتدخل في الفرد وعبادته شرط ألا يعرض الفرد سلامة الدولة للخطر.

أما في مجال السياسة فقد كتب " لوك" مقالتين ففي " الحكومة المدنية" أراد أن يرد على أنصار الأسرة المالكة القديمة – أسرة ستيوارت– التي ترى أنّ الدولة هي امتداد للأسرة وأنّ الملكية نظام مقدس إلهي فلا يجوز أنّ خلع الملك أو مهاجمته، فكان رد " لوك" بأنّ الدولة عقد تمّ بين الأفراد لحماية متاعهم وأملاكهم، فالمرجع النهائي فيمن يولي العرش هو الشعب، ويوضح هذا الكتاب نظرته للحكومة.

وفي عام 1695 أتمّ " لوك" كتابه الشهير محاولة في الفهم الإنساني " والكتاب مقسم لأربعة مقالات: الأولى في الرد على المعاني الغريزية، والثانية في تقسيم المعاني " بسيطة مركبة" وبيان أصلها التجريبي، والمقالة الثالثة في اللغة ووجوه دلالة الألفاظ على المعاني

[1]– طالب بشار مالك سليمان، إشراف: دكتور إبراهيم المصري، فلسفة جون لوك وأبعادها التربوية، جامعة دمشق، 2005، ص 73

وتأثير اللغة على الفكر، ومعارضته الفلسفة المدرسية باعتبارها فلسفة لفظية، والمقالة الرابعة في المعرفة، أي في اليقين الميسور لنا.[1]

وعن التربية ألف " لوك" كتابه الشهير " بعض الأفكار في التربية" عام 1693 عرض فيه جملة من الآراء القيّمة تتضمن حرية الفرد في التفكير، ولكي يحقق للطفل الحرية التي ينشد لها يطالبنا " لوك" بأن لا يكون التعليم تحت إشراف حكومة أو كنيسة، لأنّ هذه أو تلك ستحاول أن تبث في النشء ما يتفق وأهوائها من الآراء والعقائد.

عرض " لوك" من خال هذه المؤلفات أفكاره التجديدية في المعرفة والسياسة والمجتمع المدني والتربية، إضافة لفلسفة راقية في التسامح الديني والإنساني، ومع اتساع المجالات التي عمل فيها " لوك" بحثا وتأليفا نجد في أعماله انعكاسا لحياة ملؤها التجربة والمحاولة والمغامرة الفكرية.

[1] طالب بشار مالك سليمان ،مرجع سابق ،ص73

المبحث الثاني: المؤثرات الفكرية في فلسفة "جون لوك":

1-تأثره برواد الفكر الفلسي

أ)- أرسطو:

فقد تأثر "لوك" بأرسطو الذي ذهب إلى أنه لا يوجد شيء في النفس أو العقل ما لم يكن من قبل في الحس، ويبدوا ذلك المعنى من قوله كذلك في كتاب النفس بأننا في غيبة جميع الإحساسات لا نستطيع أن نتعلم أو نفهم أي شيء، [1] وهذا ما ذهب إليه " لوك" وخاصة في الكتاب الأول من مقالة في " العقل البشري" من رفض الأفكار الفطرية.

وكان تأثر " لوك" بأرسطو كذلك واضحا فيما يتعلق بوظيفة العقل فمن أقسام النفس عند أرسطو ما سماه بالعقل المنفعل وبالعقل الفعال بحيث كان الأول هو الخاص بتلقي الانطباعات الحسية والذي يجب أن يكون الأمر فيه كالحال في اللوح الذي لم يكتب فيه شيء بالفعل.

ب- أبيقور:

ويبدوا أنّ تأثر " لوك" بأبيقور كان كبيرا إذا أننا نلاحظ أنّ نفس الفكرة التي ذكرها " لوك" عن تكوين الأفكار تكاد تكون موجودة بشكل مبسط أولي عند " أبيقور" الذي يذكر أنّ الإحساس يؤدي إلى تكوين الأفكار في الذهن، فإذا ما تكرر هذا الإحساس أحدث في الذهن معنى كليا ثبتناه في لفظ وعلى ذلك فالإحساس هو أساس المعرفة.

ج- الرواقية:

وقد تأثر كذلك " لوك" بفلسفة الرواقية التي تسلم بيقين المعرفة الحسية وترى أنّها تتوافر فيها عناصر القوة والثقة والوضوح لدرجة أنهم كانوا يعتبرون أنّ الأفكار الحقيقية الآتية من المعرفة الحسية هي الدرجة الأولى من المعرفة.

د- شيشرون:

[1]- فاروق عبد المعطي، جون لوك من فلاسفة الانجليز في العصر الحديث، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993، ص 18-19.

وقد تأثر كذلك " لوك" بالفلسفة اللاتينية وخاصة " شيشرون" الذي كان تلميذا مخلصا للاتجاهات الحسية عند " أبيقور" وللتصور المادي للعالم الذي نادت به الرواقية.

ح- **ديكارت:** لا ينكر" لوك" تأثره بديكارت ويعترف بذلك في رسائله إلى ستيللنجلفيت فيقول: "إنّ الفضل في تحرره من الطريقة العتيقة التي كانت تتبعها الفلسفة المدرسية في معالجة مشكلات الفلسفة، والتي كانت سائدة في عصره إنما كان يرجع إلى كتابات "ديكارت" ومؤلفاته.[1]

2-أهميته في تاريخ الفلسفة:

ترجع أهمية " لوك" في تاريخ الفلسفة إلى عدة اعتبارات أهمها:

1- أنه يعتبر أول من وضع مشكلة المعرفة بمعناها المعروف لدينا الآن تقريبا موضوع البحث والتعمق وليس هذا معناه أنّ هذه المشكلة لم تكن معروفة في الفلسفة من قبل إنما معناه أننا لا نكاد نلحظ قبل " لوك" أي محاولة واضحة لدراسة مسائل المعرفة دراسة مستقلة منظمة.

2- وأنه وجه أنظار الناس في عصره لكي يفكروا بطريقة أكثر تعمقا في المشكلات التي كانوا يتناولونها من قبل بطريقة سطحية.

3- قدم لمعاصريه دراسات هامة وقيمة وخاصة في التفرقة بين الصفات الأولية والصفات الثانوية وتحليل فكرة الجوهر وتحليل اللغة ومعاني الكلمات.

4- أنه طبق الاتجاه التجريبي في الفلسفة على بحثه في نظرية المعرفة بالذات.

5- كم ترجع أهميته كذلك في تاريخ الفلسفة إلى المنهج الذي استخدمه في بحثه لنظرية المعرفة إذ أنه اضطر لاتجاهه التجريبي أن يستخدم في أبحاثه الفلسفية منهجا آخر غير المنهج القياسي الذي كان سائدا في الفلسفة القديمة.

[1]- فاروق عبد المعطي، جون لوك من فلاسفة الانجليز في العصر الحديث، المرجع السابق، ص 16.

المبحث الثالث: مفهوم الدولة

1-نظرية العقد الاجتماعي عند لوك:

أ-الحالة الطبيعية:

هي تلك الحالة التي يتمتع البشر فيها بكل حرياتهم التامة بقيام أعمالهم والتصرف بأملاكهم وبذواتهم وذلك ضمن طار السنة الطبيعية وحدها، ودون أن يحتاجوا إلى إذن من أحد أو بتقدير بمشيئة أي نسان وهو وضع من المساواة أيضا، فلا يكون حظ أحد منهما أكثر من حظ الآخر، ومع أن هذا الطور يتمتع بحرية التصرف بشخصه وممتلكاته، [1] يبين جون لوك أن الإنسان في الحالة الطبيعية يتمتع بكل بمجموعة من الحقوق والحريات الطبيعية مما ينشأ عنه صراعات ونزاعات بسبب افتقار الحالة الطبيعية لبعض المحددات الضرورية للعيش في إطار مجموعة بشرية وهو ما يلخصها جون لوك في ثلاث محددات:

غياب قانون محدد ومقبول من طرف العموم كمعيار للحكم، وغياب قاض متمكن وغير منحاز في تطبيقه للقانون، ثم غياب السلطة ذات قوة التسيير وتنفيذ القوانين، ومن أجل تجاوز هذا الوضع والحفاظ على الحقوق وضمان الحريات الفردية والجامعية بشكل مستمر، ينبي عليهم إبرام مواثيق وعقود تخول لهم الانتقال من الحالة الطبيعية إلى حالة جديدة ومنظمة سياسيا واجتماعيا، [2] يقصد لوك من هذا أن الناس صحيح كانوا يعيشون حياة جيدة تمنحهم مجموعة من الحقوق في الحلة الابتدائية، لكن أحس الناس بضرورة تنظيم حياة الفطرة هذه، إذ أن هذه الأخيرة تفتقر قانون يحكم داخلها في النزعات والصراعا ت، فقرروا بكامل حريتهم أن يتنازلوا عن البعض من حقوقهم بالقدر الذي يتيح لهذه السلطة أن تدافع عن مصالحهم وحقوقهم وتنعمهم بالسلام واستقرار.

يقول لوك "إن حالة الناس الذين يعيشون معا وفق العقل دون رئيس عام على الأرض ذي سلطة للحكم بينهم بصورة ملائمة، هي حالة الطبيعة"، وذلك بمعنى أن الحالة الطبيعية

---

[1]– جون لوك، مقالتان في الحكم المدني، تر: ماجد فخري، اللجنة الدورية للترجمة الروائع، د.ط، بيروت، لبنان، 1995، ص139.

[2]–وقيع الله محمد، مدخل إلى الفلسفة السياسية، مرجع سابق، ص167.

هي تصف حالة الطبيعية"،[1] وذلك بمعنى أن الحالة الطبيعية هي تصف حالة الإنسان التي تسبق ظهور مجتمع مدني منظم، لأن وجود هذه المرحلة هي إشارة إلى مستوى الخبرة السياسية لناس فيها، وهذه الحالة لا تقتصر على حياة قديمة في تاريخ البشرية فقد نجد هذه الحالة في الوقت الحاضر.

إنّ الفكرة التي تبناها لوك تختلف تماما مع الفكرة التي تباناها هولبز فقد أشار أنه لا توجد سيادة لشخص على آخر وهو يؤمن بالحرية الشخصية، وهو لا يوافق على السلطة المطقة المتمثلة في شخص الحاكم، وإذا كان هوبز قد أشار في نظريته في النفس البشرية لا تمك السيطرة على ذاتها في ظل غياب السلطة والعيش في حياة طبيعية للإنسان.

إنّ جون لوك في كتابه الحكومة المدنية سنة 1690 يذهب إلى أن حالة الطبيعة لم تكن حرب بل كانت حالة يتصرف على أساس عقلي لا أنّ الحالة لم تخلو من متاعب بسبب فساد بعض الأفراد، الذين كان يعوزهم ثلاث أشياء، قانون مستقر، قاض عادل، وقوة تنفيذ القانون أي السلطات الرئيسية الثلاث، التشريعية، القضائية، التنفيذية.[2]

حيث يرى جون لوك أن النسان بطبعه خير وطيب بطبعه ومحب لأخيه النسان فهو يعارض هوبز الذي يرى أن النسان ذئب أخيه النسان، فحالة الطبيعة هي حالة سلم وتآخي بين الفرد والآخر تسودها المحبة اتي يراها شيء فطري في الإنسان فكل منهم لا يحب أن يؤذي غيره.

فحسب لوك، تمثل حالة الطبيعة حالة الحرية وإن كانت نسبيا التي يتعين على الأفراد فيها أن ينظموا أفعالهم ويتصرفوا في أملاكهم، وذويهم بالطريقة التي يرونها مناسبة في طار ما يربطهم بقوانين الطبيعة وبدون استئذان أو الاعتماد على رادة أي شخص آخر في هذا السياق يتعامل الناس كأشخاص متساوين بين بعضهم البعض، لأن السلطة والقضاء محل تبادل وحيث لا يملك أحدهما أكثر من الآخر هذا ولا تعد حالة طبيعية عند لوك حالة

[1]– محمود زكي نجيب، قصة الفلسفة الحديثة، لجنة التأليف ولترجمة والنشر، د.ط، 1926، ص12.

[2]–صباح كريم رياح الفتلاوي، نظريتا الحق الإلهي والعقد الاجتماعي، دراسة مقارنة، العدد العاشر، مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، 2008، ص108.

الاستباحة، كما هي في نظرة هوبز لحالة الطبيعة كحالة حرب كما أنها ليست محكومة كما كانت عند هوبز بواسطة أشخاص يسعون للسيطرة والتحكم في حياة الآخرين.[1]

جون لوك نظر بالإيجابية على هذه الفطرة بأنها ترغب الناس في التعاون مع بعضهم البعض وتجعلهم سواسية في ظل هذه العلاقة الطبيعية أي أن الاختلافات تأتي من أسلوب التربية المتبع بعد ذلك، وبذلك يكون لكل إنسان حقوق مطلقة طبيعية.

إن حالة الطبيعة يحكمها قانون الطبيعة وهو يضطر كل واحد أن لا يضر الآخر في حياته وصحته وحريته وممتلكاته لأن الناس جميعا من صنع القادر وهم جميعا رعية حاكم واحد، إنهم ملائكة قد بعثهم إلى هذا العالم بأمره، وبقاؤهم مرهون بأمره وليس لأحد أن يدمر الآخر كما لو كان قد خلقنا لخدمة بعضنا البعض على نحو ما وجدت المخلوقات الدنيا لخدمتنا فكل واحد يعمل على حفظ نفسه ولا يتنازل عن حقوقه وعليه أيضا أن يحافظ على الآخرين ولا يضر بحياة غيره فقانون الطبيعة يقضي بالسلام وبصيانة البشر.[2]

فمن حق كل فرد الحفاظ على أمنه سواء كان الأمن في تلبية حاجياته أو سامته وهذا حق مشروع بالنسبة لهم وعليه أن أي خرق في القانون الطبيعي يؤدي صاحبه إلى التهلكة لأنه يخل بنظام الطبيعة، والحفاظ على أمن الغير هو واجب يمليه عليه الضمير الجمعي ويحقق قانون الطبيعة وبالتالي يحافظ المرء على حياته وحقوقه.

إن الحالة الطبيعية هي المرحلة التي كانت فيها الملكية، الحرية، الحياة حق من حقوق الوجود وهذه الحقوق مرتبطة بقانون طبيعي وهبة الله بشر باعتباره أبناءه وينجزون مقاصده.[3]

وللمحافظة على هذه الحقوق في هذه المرحة الطبيعية كان ك فرد فيها ملزم بتطبيق القانون الذي يجسدها إذ كما يقول جون لوك "ترك أمر التنفيذ أمر طبيعي وحماية الأبرياء وردع الغادين لكانت تلك السنة عبثا، شيمة سائر السنن التي تمت في شون البشر في هذا العالم وإذ كان لأي كان في الطور الطبيعي أن يعاقب مقترف الإثم فكل امرئ مثل هذا

[1]–ستيفن ديلو، التفكير السياسي والنظرية السياسية، تر: ربيع وهبة، ط1، المركز القومي للترجمة، سنة 2010، ص191.

[2]– أمير حلمي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، دار المعارف، مصر، ط5، 1995، ص67

[3]–موريس كرانستون، أعلام الفكر السياسي، مرجع سبق ذكره، ص62.

الحق فكل امرئ في مثل تلك الحال من المساواة المطلقة حيث لا سلطة ولا سيادة طبعا للواحد على الآخر الحق أن يفعل كل ما يحق لكل امرئ سواه أن يفعله من أجل توطيد تلك السنة، وكل إنسان في هذه المرحلة يقوم بتطبيق القوانين لا كما تمليه عليه رؤيته وضميره، فكل من يرتكب جرما فهو خارج عن القاعدة العقل والعدل في الحياة للذين وهبهما الله للبشر لكي يكونا معيارين لسلامتهم.[1]

فكل شخص ملزم بردع الجائرين والمعتدين الذي يخلون بنظام الطبيعة وهذا من أجل تحقيق العدالة في ظل المساواة فكما تعاقب المجرم تعاقب بمثله إذا ارتكبت الجرم وعليه فكل شخص سلطان على الآخر في حالة واحدة وهو تطبيق القوانين على الخارجين عليها، فلا سلطة تعلو على سلطة العق والعدل فمثل ما تحكم غيرك قد تحاكم بمثله عند خروجك عن القانون.

وللطبيعة قوانينها التي يخضع لها كل إنسان فالجميع متساوون مستقلون وليس لأحد أن يسئ إلى أخيه في حياته، أو صحته أو حريته أو ممتلكاته فالناس جميعا عاملون في هذا الكون الذي صنعه الخالق وأتى بهم إلى خضمه لأنه شاء ذلك، أتى بهم لكي يعملوا من أجله فهو مالكهم الذي يوجههم كيفما شاء، ورائدهم فيما يفعلون ابتغاء مرضاته، ومن أجل هذا يجتمعون ويتقاسمون ما تمنحه لهم الطبيعة، لذا تختفي مظاهر التبعية، التي تدفع بعضهم إلى الرغبة في السيطرة على الأخرين، والإضرار بهم، ولا يبقى في القلوب سوى حب الخير.[2]

إن الإنسان يمتلك حياته وهذا حق مشروع له فمن حقه أيضا أن يملك الأشياء الضرورية للمحافظة على حياته ولكن دون المساس بحرية الآخرين لأنه يجب أن يحص عليها من الثروة المشتركة بين الناس جميعا على أساس العدالة وعدم الإضرار بالآخرين.

وبعيدا عن مبدأ الرغبة لم يكن لأي منهم الحق في التسيد عن الآخر والتسلط بل هي محافظة متبادلة على الذات البشرية، فهذه المرحلة تضمن حقوق الفرد إلى حد ما حيث يتم تنفيذ قواعد الحق كما هو صواب أو خطأ والكل يشترك في معاقبة الجاني والجرم، مما يتولد

[1]– جون لوك، في الحكم المدني، تر: ماجد فخري، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية، د.ط، 1959، ص140.

[2]– جون لوك، الحكومة المدنية، تر: محمد شوقي الكيال، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، د.ط، د.س، ص15.

عندهم الشعور بالمسؤولية اتجاه أمن الغير حيث تتجلى مظاهر العدل تحت لواء القواعد الأخلاقية التي تسبق القوانين الوضعية، وما دام الأمر كذلك فإن لكل فرد الحق في معاقبة فرد آخر ارتكب خطأ ما، وذلك بمقتضى قانون الطبيعة الذي يؤمن بالمساواة ولا يعترف بحقوق السلطة الشرعية.[1]

ما يميز هذه المرحلة المساواة بين الناس في حقوقهم وواجباتهم فلا يعلو شأن أحدهم فوق الآخر ما يقضي بالخضوع لقانون واحد، وهذه المساواة تفرض عليهم تبادل المحبة مع الغير وهو الأساس الذي تبنى عليه الواجبات من حيث معاملة الغير كأنك تعامل شخصك مما يتولد عنه مبادئ الاحترام والعدالة.

ب-الانتقال من حالة الطبيعة إلى العقد الاجتماعي:

وردت فكرة العقد الاجتماعي في كتابات كثيرة من الفلاسفة اليونانيين منهم أرسطو والسوفسطائيين وأبيقوريين، ولوكر وعماء القانون الروماني وكثير من الفلاسفة أمثال هتمن ولاتي وبوكتان والعقد الاجتماعي تتجلى فكرته في أنّ الناس كانوا يعيشون في البداية على الطبيعة القائمة على النزاعات والحروب مما دعا الناس إلى التفكير في إنشاء تنظيمات اجتماعية تنظم علاقتهم الاجتماعية من أجل الدفاع عن أنفسهم من الأخطار الخارجية كالطبيعة أو الأقوام الأخرى.

ورغم اختلاف لوك عن سابقيه في حالة الطبيعة إلى حد ما، فإنه يشترك معهم في الغاية من العقد الاجتماعي وهذا الأخير لا يتم إلا من خلال تنازل كل فرد عن قسم من أنانيته الفردية كي يلتزم أمام الآخرين ببعض الواجبات من أجل تكوين تنظيم يساعدهم على البقاء ولكي يستمر تنظيم الأفراد الاجتماعي يجب أن يخضعوا إلى قادة أكفاء قادرين على توجيه حياتهم الاجتماعية توجيها يخدم حاجاتهم وحمايتهم.[2]

---

[1]- جون لوك، الحكومة المدنية، المصدر السابق، ص16.

[2]- السعيد بن يمينة، نظرية العقد الاجتماعي، لوك ، هوبز، روسو، منتديات المسيلة، شبكة سيدي عامر.
http://www.sidiamer./t67385-topic*ixzzim op91ije.

ك هذه الظروف عملت على ظهور فكرة العقد الاجتماعي بشكل طوعي دون إلزام أو اكراه من قبل أفراد المجتمع، إنّ النقطة المركزية التي ظلت تدور حولها نشاطات الإنسان لفترة طويلة هي العلاقة بين أفراد المجتمع بعضهم البعض.

من جهة وبين عناصر البيئة المتنوعة التي تحيط بهم من جهة أخرى، هذه تمثل مرحلة تاريخية تلتها مرحلة أخرى جاءت نتيجة تطور المجتمعات ألا وهي علاقة الحاكم بالمحكوم.[1]

وتجلت فكرة العقد الاجتماعي أكثر حيث أزيل عنها الغبار وكانت لها أبعاد أخرى نتيجة للتطورات السياسية والفكرية والتي كان لها صدى كبير وصل به الأمر إلى النهضة الأوربية والثورة الفرنسية، فلم تكن أفكارهم حول العقد الاجتماعي تنظيرية فحسب بل تجلت أفكارهم إلى أبعد من ذلك نتيجة للتطورات والظروف السياسية آنذاك كحروب الكروميل والصراع السياسي والمذهبي كالصراع بين البروتستانت والكاثوليك وغير ذلك، فتراكم الأوضاع القاسية والحروب المتواصلة كانت بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس. أما لوك كان لديه رأي آخر مخالف لبعض الفلاسفة والمفكرين، لكن ما يشترك فيه معهم هو فكرة العقد الاجتماعي.

2-العقد الاجتماعي عند جون لوك:

ترافق الحالة الطبيعية العديد من الصعوبات حيث ملكية الفرد والنسان في هذه الحالة معرضة لضعف وهشاشة كبيرة، يقول جون لوك هنا: "إذا كان الإنسان حرا في حالة الطبيعة وسيدا مطلقا على شخصيته وأملاكه، إلا أنه ليس الوحيد الذي يمتلك ويعيش نفس الحرية، فالجميع لديهم نفس المميزات والقسم الأكبر منهم لا يحترم المساواة ولا العدالة، وهذا يعرض الملكية للخطر وعدم الثبات، ضمن هذه المشكلة لابد للبحث عن العلاج".[2]

يرى جون لوك أن الحالة الطبيعية كانت فيها الملكية مشتركة طالما أنّ الناس متساوون في هذه الحالة، فيتولد منها الكسل والخمول كونهم يعتمدون على ما هو جاهز من ثمار

[1]– السعيد بن يمينة، نظرية العقد الاجتماعي، مرجع سابق.

[2]– صلاح علي نيوف، مدخل إلى الفكر السياسي، ج1، كلية القانون والعلوم السياسية، الأكاديمية العربية، الدنمارك، د.ط، د.س، ص111..

الطبيعة، لكن قد يصادف أن شخصا يوما ما لم يحصل على مبتغاه ما يجعل القلق يتسلل إليه فيقتطع لنفسه ملكية من الأرض، فيبدأ العمل والجهد، مما تتحول الملكية العامة إلى ملكية خاصة.

كما ان ظهرت الملكية الخاصة حتى صاحبها لطمع والجشع، وعن هذا الطريق ساد التفاوت، وانعدام المساواة في الملكية بين الناس على الرغم من أن الملكية حق طبيعي لكل إنسان بل إنها حق مقدس، شأنها شأن الحرية والمساواة وغيرها.[1]

حيث بدأ كل فرد يملك قطعة معينة من الأرض يستغلها لصالحه، ويحافظ عليها، بدأ الخلاف يدب بين الناس، إذا لم يرعى بعضهم حقوق غيرهم، ويسخرونها طبقا لأهوائهم وشهواتهم، ورغباتهم الأنانية، فنزعوا بذلك إلى الكسل والخمول والحقد والحسد والسيطرة على الآخرين مما حول حالة الطبيعة من حالة سلام وأمن إلى حالة نزاع وشقاق وحرب، حتى أصبح من العسير على الإنسان أن يمارس حقوقه لاسيما الحقوق الأساسية منها: كالملكية ، والحرية، والمساواة.[2]

فكل فرد يحاول أن تتسع دائرة نفوذه وملكيته ليتفاضل على غيره ويكون أعلى شأن منهم مما يجعله يتسيد على الأدنى منه شأنا، حيث أن السيد يملك والعبد يعمل، وهذا يخالف الحق الطبيعي لما يصحب الفرد مستغلا من فرد إلى آخر تحت حجة أنه يؤمن له قوت عيشه بشرط أن يعمل عنده، فتزيد حدة التنافس حول الأرض والثروات مما يسبب نوعا من الفوضى، أو بالأحرى حالة صراع وان تعددت أشكالها.

ولكن لما لم يكن هنالك أي مجتمع سياسي بالمعنى الصحيح للكلمة، فإن تطبيق تلك القوانين أصبح متعذرا جدا، لهذا السبب يتجه الناس إلى تكوين المجتمع السياسي، والتنازلي لهيئاته الحاكمة عن قوتهم وسلطاتهم الذاتية، فأصبح المجتمع السياسي حكما في شؤون أعضاءه ومنازعتهم، ويضع قوانين السلوك والعيش المشترك وقواعده التي عدت تطبق على الجميع على قيد المساواة، بغض النظر عن أصولهم ووضعياتهم.[3]

---

[1]– إمام عبد الفتاح إمام، الأخلاق والسياسة، دراسة في فلسفة الحكم، المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، 2001، ص289

[2]– إمام عبد الفتاح إمام، المرجع السابق، ص 290.

[3]– إمام عبد الفتاح إمام، المرجع نفسه، ص 290.

ولقد أدى ذلك بالناس إلى البحث عن طريقة للخلاص، وانتهوا إلى أنه لابد لهم من التنازل عن بعض حقوقهم الطبيعية إلى سلطة تكون قادرة على حمايتهم، وإتاحة الفرصة أمامهم لممارسة حقوقهم الأخرى، فكان إن اتفقوا على أن يتنازل كل واحد منهم عن حقه الطبيعي في الدفاع عن نفسه وعن أرضه وممتلكاته، وهكذا ظهر العقد الاجتماعي الذي هو أساس التنظيم السياسي والمجتمع المدني، وقيام الدولة، وأصبح التعاقد من طرفين الطرف الأول هو الشعب، والطرف الثاني هو السلطة الحاكمة.[1]

وبالتالي حفاظا على حقوقهم الطبيعية يتناول الأفراد عن بعض حقوقهم ولا يكون هذا إلا بالاتفاق بينهم لنيل حريتهم وتحقيق العدالة، فيعاقب كل من يخل بموجب هذا العقد، بما في ذلك الحاكم، حيث يصبح المجتمع متساويا من حيث حقوقه وواجباته، والسلطة السياسية تراض مشترك وعقد إيراداي وذلك لأن أعضاء المجتمع متساوون عقلا وحرية، بخلاف الحال في علاقة الآباء والأبناء، فأساس الاجتماع الحرية والغرض من العقد الاجتماعي صيانة الحقوق الطبيعية، لا محوها لمصلحة الحاكم كما يزعم هوبز، فلا يستطيع الأعضاء أن ينزلوا إلا عما يتنافر من حقوقهم مع حال الاجتماع، وذلك هو حق الاختصاص.[2]

والسلطة ليست متأتية من خارج إرادة الأفراد فالعقد الاجتماعي عند لوك يكون بإرادتهم وبالتالي يرغبون في احترام القوانين، فنجد تقارب بين الحالة الطبيعية والحالة المدنية.

فالأفراد يؤسسون طريقهم بحريتهم، فالأفراد بطبيعتهم لهم قوانين كونهم يعرفون الصواب والخطأ، وبالتالي يستطيعون مراقبة السلطة أو الحاكم.

وبالتالي نستنتج هذه الصفات الثلاثة الجوهرية للاجتماع السياسي، هذا الاجتماع سيكون لديه:

1-قوانين معروفة وواضحة ومجربة.

2-قاضي يطبق القوانين بشكل موضوعي، وهذا ممكن لأنه لا يطبق قوانينه الشخصية بل قوانين الجماعة أو المجتمع السياسي.

1- محمد وقيع الله، مرجع السابق ،ص 113.

2- جورج سباين، تطور الفكر السياسي، مرجع سابق، ص 276.

3- سلطة تستطيع تنفيذ الأحكام، وهذا ممكن أيضا لأن من سيملك السلطة هي قوة مشتركة مكونة من كل الجسم.

3- قيام المجتمع المدني عند لوك:

بعدما اقر لوك بوجود حالة الطبيعة للإنسان و بوجود عيوب فيها يجب تجاوزها، طرح نظريته القائمة على عقد اجتماعي يتم بموجبه انتقال الأفراد من مجتمع تحكمه قوانين الطبيعة إلى مجتمع مدني يقول لنا لوك:" إن الحكومة هي دواء للمضايقات التي تنشأ في حالة الطبيعة".[1]

يعنى أن الحل يكمن في إقامة دولة وحكومة تؤسس على القوانين والقضاة والسلطة المنفذة وهذا ما يأتيهم به الحكم المدني فالسلطة هي إذن عبارة عن وديعة...والحاكمون هم إداريون في خدمة الجماعة وتقوم مهمتهم على توفير الرفاه والازدهار.[2]

كما تكلم لوك عن فضيلة التسامح في جانبها الديني لكن ما يجب التنويه له هو أن للمجتمع المتدني أو السلطة السياسية دور في تحقيق هذا التسامح فلوك عاش في مجتمع سلطته السياسية مطلقة متعصبة دينيا، لم تمنح لأفراد شعبها حرية الاعتقاد وهذا بالتحديد ما عارضه لأن الحق ومطلب ضمنته قوانين الطبيعة قبل أن تضمنه القوانين السياسية بل هو حق وجب أن تكلفه هاته الأخيرة وبما أن لوك عانى كثيرا من طرف سلطة. بلاده الحاكمة بسبب اختلاف توجهه الديني [3] إن هذا الفصل الذي نادي به لوك يرمي إلى حماية التعددية الدينية، وهذه الحماية الدينية تفضي بالإنسان إلى أن يكون حرا في اختيار مذهبه الخاص والاعتقاد الذي امن واقتنع به عقله وبهذا ضمن جون لوك للأفراد إحدى جوانب الحريات في ظل القانون الوضعي (حرية الاعتقاد) ، والذي رأى بأنها ما هي إلا نتيجة لفضيلة التسامح التي ساهمت في إقرار السلام والاستقرار .

---

[1]- برتراندراسل، تاريخ الفلسفة الغربية، تر: محمد فتحي الشنطي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977، ص 208.

[2]- جان توشار، تاريخ الأفكار السياسية من عصر النهضة إلى عصر الأنوار، تر: ناجي الدراوشة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ج2، 2010، ص 195.

[3]- ستفن ديلو، التفكير السياسي، والنظرية السياسية والمجتمع المدني، مرجع سابق، ص 296.

وقد ميز في كتابه رسالة في التسامح بين مهام كلا من السلطة الدينية والسلطة المدنية فرأى بأنهما وضعا لوظائف تختلف فيها الأولى عن الثانية إذا فيما يتجلى هذا الاختلاف.

أ- السلطة الدينية:

يبدأ لوك في مطلع رسالته بتعريف التسامح جاعلا منه ميزة للدين المسيحي الحق قائلا: "انظر إلى التسامح على انه العلامة المميزة للكنيسة تعد هذه العبارة اختصارا لجزء كبير من رسالته والذي أراد فيه تبيان انه لا يوجد احد في هذا العالم يستطيع أن يقرر ما هو الدين الحق وهو الدين الباطل، وان ما نراه من تباه بالأماكن والألقاب العريقة والممارسات الدينية العظيمة وتفاخر واعتقاد جازم بأنه على الدين الحق، ما هي إلا ضروب من الوثيقة والتعصب والتسلط، فلو سمح الإنسان لنفسه بأن يحكم على عقيدة غيره وديانتهم فهو في هذه الحالة يهيئ لجو من العنف والصراع محال .[1]

ويفترض لوك بأنه لو كان الإنسان مسئول أمام الأخريات بأن يعضه ويوجهه وكان هذا المسئول لا يتصف بالتواضع وحب الخير للغير ولو كانو ا على غير ملته، فغنه ليس بمسيحي ولا يمت للمسيحية المعقولة الحق بصلة، يقول"أما وظيفة الدين الحق فهي مختلفة تماما، فالدين الحق لم يتأسس من اجل ممارسة الطقوس ولا من اجل الحصول على سلطة كنيسة، ولا من اجل ممارسة القهر، ولكن من اجل تنظيم حياة البشر استنادا إلى قواعد الفضيلة والتقوى،[2] فقد وجه لوك نقدا لاذعا لآباء الكنيسة، فرأى بأن هؤلاء قد استخدموا الدين و المؤسسات الكنائسية لأغراض خاصة ومصالح شخصية تخدمهم على حساب أفراد المجتمع الذين اضطهدوا وعذبوا من طرفهم باسم الدين والدفاع عنه، وكذا بدعوى خلاص النفوس البشرية في حين أن أباء الكنيسة و القساوسة من أكثر الناس ممارسة للرذائل وإتباعا للشهوات، يقول جون لوك:" فكل إنسان يحمل شعار المسيح ينبغي عليه، أولا وقبل كل شيء أن يشن حربا على شهواته ورذائله وذلك لأنه من العبث أن تكون حياتك مقدسة وأن يكون سلوكك طاهرا، وأن تكون رقيقا ومتواضعا.... فمن الصعب على إنسان لا يكترث بخلاصه

[1]- جون لوك، رسالة في التسامح، تر: منى أبو سنة، (المجلس الأعلى للثقافة)، القاهرة، ط1، 1997، ، ص 19.

[2]- المرجع نفسه، ص 19.

الروحي أن يقنعني باهتمامه البالغ بخلاصي، فأمر محال على أولئك الذين تخلو قلوبهم من الديانة المسيحية أن يكرسوا أنفسهم بإخلاص وحمية لتحويل الآخرين إلى المسيحية".[1]

نستنتج أن الكنيسة هي وسط اجتماعي حر أو هي جماعة حرة مؤلفة من أناس اجتمعوا بإرادتهم لعبادة الله علنا على النحو الذي يرونه مقبولا عنده وكفيلا بتحصيل النجاة، ويؤكد لوك على أن الكنيسة اجتماع حر، إن الارتباط بها نابع من إرادة حرة للفرد، لأنه ليس ثمة إنسان ملتزم بطبيعته بكنيسة معينة أو بطائفة معينة، كما بين لوك أن الكنيسة مؤسسة دينية كباقي المؤسسات، يجب أن يكون لها قوانين تنظمها وتضبط مجتمعها وسير شؤونها لضمان عدم تفككها، هذه القوانين تصدر عن اتفاق جميع أعضائها وبهذا تكون الكنيسة محدودة السلطة أي أن القوانين التي سنتها كنيسة معينة تطبق فقط على أعضائها ومن انظموا إليها، لا على باقي أفراد المجتمع الآخرين، ولقد أكد جون لوك على تهذيب أساليب ممارسة هذه القوانين، فبدل الاضطهاد والعنف واستخدام السلاح والقوة دعا إلى النصح والوعظ والتوجيه، فإذا كان هذا السبيل لا يجدي نفعا لهدايتهم، هنا يتم عزلهم عن هذا المجتمع الكنسي، وقرار العزل هذا يعده لوك أقصى ما يمكنهم فعله معه، فلا يمكنهم تعدي هذا العقاب إلى المساس بحياته وإلحاق الضرر بجسده أو تجر يده من ممتلكاته أو أي حق من حقوقه المدنية فهذا الأمر ليس من مهام الكنيسة وأساقفها.[2]

وعليه من هنا نفهم أن لوك أراد أن يقول أنه لا إكراه في الدين، فمسألة الاعتقاد والدين هي راجعة لإرادة الفرد الحرة، وأنه ليس من حق الكنيسة التدخل في معتقده ولا تهديده بحرمانه من حقوقه المدنية، لأنه ليس من مهامها أن تتدخل في الأمور الدنيوية والتي هي من حق السلطة المدنية.

ب) السلطة المدنية

قدّم لوك تعريفا للدولة فقال: "يبدوا لي أن الدولة مجتمع من البشر يتشكل بهدف توفير الخيرات المدنية والحفاظ عليها".[3]

[1]– جون لوك، رسالة في التسامح، المرجع السابق، ص 20.

[2]– المرجع نفسه، ص27

[3]– المرجع نفسه، ص36.

تحيل هذه العبارة إلى أن الدولة تشكلت بعد أن اتفق البشر على ذلك، وغايتهم في إقامة الدولة هو المحافظة على خيراتهم وحقوقهم التي جبلوا عليها في حالة الطبيعة من "الحياة والحرية، وراحة الجسم بالإضافة إلى امتلاك الأشياء مثال المال، والأرض والبيوت، والأثاث، وما شابه ذلك"، [1] إذا وظيفة الدولة قد حددها لوك في حماية لوك في حماية حقوق وممتلكات جميع الأفراد من طرف الحاكم المدني، من خلال اتباعه لنظام حكم عادل يسير عليه الجميع دون استثناء، وكذلك فرض عقوبات على كل شخص سولت له نفسه الانتهاك والتعدي على حقوق وممتلكات غيره بحرمانه من حقوقه المدنية، إن مثل هذا العقاب يراه لوك جد مشروع لردع أولئك الذين أرادوا خرق القوانين التي تأسس عليها المجتمع المدني أو الدولة، فالحاكم له كل الصلاحيات أن يقيم أي عقاب يراه مناسبا من أجل الحفاظ على الحقوق التي استمدها الحاكم من شعبه، وعليه يمكننا القول بأن سلطة الدولة وضعت بغية الحفاظ على حقوق الرعايا، في المقابل يجب على الأفراد احترام تلك القوانين الصادرة عن السلطة الحاكمة، فلا يمكن لهاته الأخيرة أن تتعدى لوظيفة أخرى أو مهام أخرى، كالانشغال بمسألة خلاص الأنفس، [2] بهذا سيقدم لوك تصورا علمانيا للدولة بحصر مهمتها في مجرد تصريف الشؤون الدنيوية لمنظوريها أي حياتهم وحريتهم وثرواتهم، وذلك يعني أن الرب لم يكلف الدولة برعاية نفوس الرعايا". [3]

ولقد استند لوك إلى اعتبارات لبرهنة طرحه هذا، حيث يقول: "الاعتبار الأول: إنّ خلاص النفوس ليس من شأن الحاكم المدني أو أي إنسان آخر، ذلك أن الحاكم ليس مفوض من الله لخلاص نفوس البشر، وإن الله لم يكلف إي إنسان بذلك، [4] إنّ من الغير المعقول أن يمنح الله للسلطة الحاكمة مهمة انقاذ وخلاص روح الفرد، فالإنسان وحده أدرى من غيره بمصلحته، خاصة وإن تعلق الأمر بالجانب الديني، ومسألة الخلاص، وللفرد كل الحرية في تبني أو الاعتقاد بالدين الذي اقتنع به عقله والذي رآه طريقا لخلاصه الأخروي، فالإيمان الحقيقي عن لوك هو ذلك الإيمان النابع من رضا العقل البشري، ويرى أنه لا يمكن

[1]– جون لوك، رسالة في التسامح، المصدرالسابق، ص36.

[2]– المصدر نفسه، ص23.

[3]– المصدر نفسه، ص23.

[4]– المصدر نفسه، ص23.

إخضاع الإنسان من طرف الحكام لدين معين أو عبادة معيّنة فحتى وإن حاول تكييف إيمانه كما قال لوك مع ما فرض عليه، فهذا الأمر لا يفضي إلى خلاص النفس بل يقف حجر عثرة أمام خلاصنا، ومن هذه فالحاكم عند جون لوك مجرد موظف عند الشعب وليس وريث الله في الأرض كما يزعم البعض، متى أحسن أداء مهامه لقي ترحيبا وثناء من رعيته، والعكس إذا جار واستبد، حينها يحق للشعب أن يثور من أجل حقوقه المشروعة، [1] إن حرص لوك الشديد على إقرار وحماية حرية المواطنين وضمان حقوقهم في الملكية الخاصة، قد أدى به إلى تحذير الحكومات من مغبة التقصير في أداء واجباتها، أو الاتجاه إلى انتقاص حقوق رعاياها، وفي هذا الشأن فقد جوز لوك أن تثور الجماهير على الحكومات، ولكن فقط بهدف تغيير شخص الحاكم، والإتيان ببديل أفضل منه.[2]

كما دافع عن الحرية، والتي تمثلت في حرية المعتقد، وكما دافع لوك عن التعددية الدينية في المجتمع الواحد، ورأى بأنها المخرج لوضع الصراع، والنزاع والعنف والتعصب ذاك، الذي خيّم على القارة الأوربية لعدة قرون، فقدم لنا مجتمعا علمانيا هدف حكومته صيانة حقوق شعبها والصالح العام للبشر فقط، دون أن تتدخل في معتقد ودين رعاياها، لأنه ليس من مهامها تحقيق خلاص الأمة، فرسم لوك حدا فاصلا بين السلطة الدينية والسلطة المدنية، بهذا الحد يمكننا تأسيس دولة ليبرالية ومجتمع يسوده السلام والتسامح والأمن، يؤمن بنسبية الأشياء وتقبل الآخر باختلافه، والأهم من كل هذا مجتمع خال من التعصب وصراع الزاوية فإنك بدلا من التكفير عن خطاياك الأخرى بممارسة الدين تقدم إلى الله عبادة أن تؤمن بأنها لا ترضيه فتضيف خطيئة أخرى وهي النفاق وازدراء الجلالة الإلهية.[3]

أما الاعتبار الثاني فمفاده أن الحاكم لا يمكنه أن يجبر رعيته للدخول في دين واحد عن طريق تخويفهم باستخدام القوة وتجريدهم من حقوقهم المدنية، فحتى وإن رضخوا له سيبقى إيمانهم نابع عن خوف لا عن اقتناع جوّاني، وهذا ما لا يرضاه الله حسب لوك، ولا يعني هذا أن يقصى الحاكم من إنسانيته، فمن واجبه أن يكون إنسان خير يدعوا الناس إلى الهداية بالنصح والإرشاد وبالعقل كغيره من الناس، فالنصح والوعظ والتنبيه للأخطاء واجب

[1]–ستيفن ديلو، التفكير السياسي والمجتمع المدني، مرجع سابق، ص297.

[2]–محمد وقيع الله، مدخل إلى الفلسفة السياسية، دار الفكر، دمشق، 2010، ص173.

[3]– المرجع نفسه، ص 25.

على كل فرد، لكن دون استخدام للقوة التي هي من صلاحيات الحاكم المدني فقط، ورغم أن القوة وفرض العقوبات ليست ضارة بحقوق الآخر أو ما دامت تلك الأشكال من السلوك لا تهدد السلام العام.[1]

وفي هذا الاعتبار الأخير الذي قدمه لوك يرى بأن اعتناق الأفراد وإتباعهم لديانة الحاكم، لا يفضيهم إطلاقا ولا يمنحهم ذلك الخلاص، وأنه من الغرابة أن يستغني أو أن يلغي الإنسان سعادته فقط ليتبع ويخضع لدين الحاكم الذي هو بشر مثلما غير معصوم من الخطيئة.

4- أشكال السلطات عند لوك:

يرى جون لوك أن قبول العقد الاجتماعي أوجب قوانين عملية وضرورية لضمان حرية الفرد، كما كان الحال في الحالة الطبيعية، وهنا الفرد حسب لوك يتخلى عن جزء من حقوقه وحرياته وصلاحياته في الحالة المدنية، ومنها صلاحية الحفاظ على ذاته وذوات غيره، وكذا صلاحية إنزال العقوبات الخارجين عن القانون، وهذا التنازل يعود عليه بالإيجاب لدخوله في الحالة المدنية كالتعاون المعيشي وكف الأذى عنه فتصبح حقوقه وحقوق الآخرين متساوية على غرار الواجبات، "... ولكن ذلك لا يكسب المجتمع حق الاستبدادية أو تقييد حريته، إلا بمقدار ما يقتضيه الخير العام، وإلا خرج عن الغرض الذي وجد من أجله، فكان حق التمرد عليه".[2]

كما يعتبر لوك أول من قال بفصل السلطات التي نعرفها اليوم بتقسيماتها:

أ- السلطة التشريعية:

بعد قيام أي دولة تكون السلطة التشريعية هي أول ما يقام بها ووظيفتها الأولى هي إبقاء المجتمع، وكل الأفراد وهي تعبر عن السلطة العليا في البلاد بل أكثر من ذلك فهي سلطة مقدسة لا تتغير حسب لوك وهي سلطة قانونية تسن القوانين وتحافظ عليها، وللسلطة قيود وقوانين تلزم حدودها التي عهدت بها للمجتمع وشريعة الله وسنة الطبيعة.

---

[1]-ستيفن ديلو، التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني، مرجع سابق، ص297.

[2]- جون لوك، في الحكم المدني، تر: ماجد فخري، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، د.ط، بيروت، 1959، ص 139.

ب- السلطة التنفيذية:

هي سلطة تقوم على تنفيذ القوانين المسنونة من طرف السلطة التشريعية فالسلطة التنفيذية هي سلطة محددة من طرف السلطة التشريعية ومهمتها مرتبطة بها فهي قائمة بها.

ج- السلطة الاتحادية (القضائية):

وهذه السلطة هي التي تعلن الحرب وإقرار السلم والانضمام إلى الأحلاف وتوقيع المعاهدات وتنظيم سائر العلاقات مع كل الأفراد والجماعات الخارجية عن الدولة، لذلك يمكن دعوتها بالسلطة الدولية، إذا أحب القارئ على هذا الوجه وغيره بالأسماء.[1]

وعليه كانت الغاية من فصل لوك للسلطات هو:

أ- ينبغي أن تكون السلطة التي تشرع القانون غير السلطة التي تنفذ فلو كانت السلطة التشريعية بيد السلطة التنفيذية فربما توجهها لمصلحتها، وقد يحدث أن تجتمع السلطة التنفيذية والتشريعية في يد واحدة فتعمل السلطة التنفيذية على الغاية أو تغييره إذا أحست بأنه يقيدها وهذا يؤدي إلى عدم احترام القوانين أو خضوعها للأهواء.

ب- أنّ الجمع بين السلطتين التنفيذية والتشريعية يؤدي بالقضاء إلى أن يصبحوا مشرعين لأنفسهم الأمر الذي يقضي على حيادهم.[2]

وعليه فإنّ الجمع بين السلطتين يجعل القضاء لعبة في يد السلطة التنفيذية فتنحرف السلطة عن غايتها التي وجدت من أجلها، فسلطات الدولة لا تختلف في جوهرها عن السلطات التي كانت للفرد في ظل المجتمع الطبيعي، وكل ما في الأمر أنّ الدولة (أو المجتمع المدني) تصلح المساوئ التي قد يتعرض لها المرء، بحكم أنانيته، فأثرت في تطبيق بنود السنة الطبيعية على أقرانه في القضايا التي تعنيه، وهذه السلطة هي سلطة التشريع العليا وسلطة تنفيذ القوانين الموضوعة (التنفيذية والقضائية)، ثم سلطة دفع العدوان الخارجي وعقد المعاهدات، والأحلاف يدعوها لوك بالاتحادية Federative بينما تعرف في

[1]- جون لوك، في الحكم المدني، مصدر سابق، ص 227.

[2]- مصدر نفسه، ص 230.

القانون الدولي، اليوم بالسلطة الدولية أو الدبلوماسية، وهذه السلطات ينبغي أن تكون منفصلة عند لوك.[1]

اعتبر لوك بأنّ السلطة التشريعية هي أهم السلطات والأسمى والأعلى، وارتكز عليها لتحديد شكل الحكومة وقال بأنها:

- لا يمكن أن تكون تعسفية لأنّ مصدرها الشعب.
- لا يمكن أن تأخذ الملكية بغير رضا.
- لا يمكن أن تفوض سلطتها التشريعية لسلطة أخرى.
- إذا فقدت ثقة الشعب، حق للمجتمع تغيير الهيئة التشريعية أما قيود السلطة التنفيذية.
- بأنها تعتمد السلطة التشريعية، وأنها مسؤولة أمامها.[2]

[1]- جون لوك، في الحكم المدني، المصدر السابق، ص 230.

[2]- مجلة الباحثون السوريون الالكترونية، الفلسفة السياسية، تطور مفهوم العقد الاجتماعي عند جون لوك:

http:// www.syr-res.com./ article/ 5437.html/

المبحث الرابع: مدى تأثير فكر لوك السياسي:

إنّ نظرية لوك أثرت على الكثير من المفكرين في أوربا وأمريكا في القرن الثامن عشر، وأشهر هؤلاء " فولتير، روسو، توماس جبفرسون"، واعتبر هؤلاء جون لوك مفسر الفلسفة العقلية في القرن الثامن عشر، وقد اقتبس جيفرسون كثيرا من آراء لوك عندما كتب إعلان استقلال أمريكا عام 1776.[1]

إنّ تفسيري كل من هوبز و لوك في الواقع ليس إلا صورة من صور درجة النضوج الفكري الذي صاحب قيام الثورة الصناعية في انجلترا وإنّ هذا النضوج المحدد هو الذي سبب تأخر انفجار الثورة السياسية في انجلترا عنه في فرنسا بينما قامت الثورة الصناعية في الأولى قبل الثانية بزمن طويل.

ومن الفلاسفة المتأثرين ب جون لوك، الفيلسوف والمفكر الفرنسي جان جاك روسو: الذي ولد عام 1712 بسويسرا، عاش طفولته بدون عائلة (تركه أبيه لخاله وهذا الأخير تركه لراع) أي طفولة عصامية، الأمر الذي جعله ثائر وانفعالي، عاصر فولتير، *وبديدور،* هذه الطفولة المضطربة لم تمنعه من أن يصبح عبقريا فذا، حيث نبغ في شتى العلوم وخاصة علم السياسة، كان يمثل الحركة اليسارية في أوربا، توفي عام 1778، عن عمر يناهز السادسة والستون سنة أي قبل الثورة بحوالي إحدى عشرة سنة.

1-جون جاك روسو:

إنّ روسو أعطى بعدا جديدا لنظرية العقد الاجتماعي في كتابه (العقد الاجتماعي) عام 1762 موضحا فيه أنّ الإنسان خلق حرا ومساويا لغيره في الحقوق، ولضمان الحرية والمساواة، انضم الأفراد وأقاموا الحكومات لتعمل بإرادتهم مستمدة السلطة منهم بموجب عقد بين الطرفين، فإذا أساءت هذه الحكومات استخدام السلطة، وأخلت بتلك الحقوق، وجب عزلها، وإقامة حكومات أخرى بدلها، وقد أدى انتشار أفكار (روسو) في فرنسا أواخر القرن الثامن عشر إلى توسيع الهوة بين الملك وبين الشعب، وبيّن (روسو) كذلك أنّ شرعية

[1]– صباح كريم، رياح الفتلاوي، نظريتا الحق الإلهي والعقد الاجتماعي، مركز الدراسات، ع10، جامعة الكوفة، 2007،

*– مفكر وأديب فرنسي كبير، عاش بين 1694–1778م.

*– يسمى بالموسوعي نظرا لغزارة فكره وزيارته لأماكن عديدة داخل وخارج فرنسا، عاش ما بين 1713، 1784م.

الحكومة تستمد من الشعب وكل القانون لا بد وأن يجيزه التصويت المباشر لجميع المواطنين، وإنّ الدولة مدينة بوجودها للشعب وإنما تمت في سيادتها إليه وحده دون سواه ومن حقه– رغم وجود المعاهدات والدساتير– أن يعدل أو يلغي أشكالها.

يعتبر كتاب (العقد الاجتماعي) ل روسو بحق من أقدر المؤلفات السياسية بذات الخصوص حتى عد إنجيل الثورة الفرنسية والذي خصصه لأفكاره حول الدولة والسلطة والحق الطبيعي، إذ يفتتح الكتاب بالمقولة الشهيرة " ولد الإنسان حرا إلا أنه مكبل في كل مكان بالأغلال، على ذلك النحو يتصور نفسه سيد الآخرين الذي لا يعدو أن يكون أكثرهم عبودية"،[1] وقد قصد روسو من ذلك أنّ تاريخ الإنسان ينقسم إلى مرحلتين مرحلة سابقة على وجود الحكومة ومرحلة لاحقة بها، ففي المرحلة الأولى كان الإنسان في حالته الطبيعية غير مقيد بقوانين وضعية ولا خاضع لغير أحكام القانون الطبيعي المنبعث في نفس كل إنسان بمقتضى الفطرة، ولكن الإنسان اضطر إلى الخروج من هذه الحالة الطبيعية واتفق مع بني جنسه على إيجاد نظام اجتماعي يخضع فيه كل فرد إلى حكم المجموعة مقابل قيام المجموعة بحمايته، وتنازل فيه عن حريته الطبيعية بمقابل تمتعه بالأمن المكفول له من بني جنسه على إيجاد نظام اجتماعي يخضع فيه كل فرد إلى حكم المجموع مقابل قيام المجموع بحمايته، وتنازل عن حريته الطبيعية بمقابل تمتعه بالأمن المكفول له.

2.أثر لوك في فكر توماس جيفورسون السياسي:

ولد السياسي توماس جيفرسون عام 1743 في مدينة شادوبل shadwel في فرجينيا، لأسرة استقراطية وتعمل في الزراعة، التحق جيفرسون بكلية وليام وماري في المدة ما بين عامي 1760–1762 بعد تخرجه من كلية وليام وماري عام 1762، انخرط في مكتب محاماة، رشح في عام 1769 ليصبح عضوا في برلمان فرجينيا، بالإضافة إلى أنه كان أحد رؤساء الولايات المتحدة الامريكية والكاتب الرئيسي لوثيقة اعلان استقلال أمريكا عن الحكومة البريطانية سنة 1776، وثالث رئيس للولايات المتحدة الامريكية لدورتين متتاليتين[2].

[1]– جان جاك روسو، العقد الاجتماعي، تر: ذوقان قرقوط، د.ط، دار القلم، بيروت، د.س، ص 127.

[2]نجلاء عدنان حسين، توماس جيفرسون ودوره في السياسة الامريكية حتى عام 1826، مجلة كلية التربية الاساسية، جامعة المستنصرية، ع 99،(دب)، 2017، ص33

ويعتبر توماس جيفرسون من المفكرين والساسة الذين تأثروا بجون لوك، فحين قام بكتابة وثيقة إعلان الاستقلال الذي تضمن العديد من العبارات الداعية لحقوق الانسان، كان متأثرا بالفلسفة السياسية الحديثة، فاعتبر بذلك السياسي الذي جسد نظريات لوك السياسية الداعية للحرية السياسية والدينية والفكرية وكذا إلى المساواة وجميع حقوق الانسان التي اعتبرها هو الاخر مقدسة، ومن هذا المنطق يقول توماس جيفرسون: "خلق الناس جميعا متساويين ووهب الخالق الناس حقوقا قطرية لا يمكن التصرف فيها.... حق الحياة، وحق الحرية وحق الناس في أن ينشدوا السعادة، ولضمان الحقوق تؤسس الحكومات بين الناس مستمدة سلطتها الحق من رضاء المحكومين. وإنه إن غدا أي شكل من أشكال الحكومة هداما وغير محقق لهذه الأهداف، أصبح من حق الشعب أن يغيرها ، ويعد قول جيفرسون هذا أحد النقاط التي أقرها لوك في آرائه السياسية من قبل، حين تكلم على الإدارة العامة و رضى الأغلبية في إقامة العقد الذي من خلاله ينتقل الأفراد من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية، مشكلين بذلك دولة تقوم على قوانين وضعية يحرص الحاكم على تطبيقها في حالة التعدي على حقوق الأفراد المدنية والتي يسميها لوك بالوديعة وبهذا تكون السلطة محدودة لا مطلقة كما ذكرنا سابقا، و كذلك أحد الآراء التي استوحاها جيفرسون منه.

كان توماس جيفرسون يرى أن الاستبداد السياسي، وأن الانسان السياسي يعبد حسب اختياره، لأن الدين كما يقول جيفرسون مسألة بين الانسان وخالقه وليس لأحد الحق في أن يتدخل فيا وهو كذلك بالنسبة للشعب فالتسامح الديني حاجة أساسية ليس لذاته، بل لحفظ المجتمع الديمقراطي [1].

وعليه فنجد جيفرسون هنا قد استمد فكرة التسامح من رسالة لوك في التسامح بإعتباره قد اطلع على كتابات "لوك" التي كان يرى جيفرسون أنها تكاد تبلغ الكمال.

[1] إمام عبد الفتاح، إمام الاخلاق والسياسة، المرجع السابق، ص 51.

الخاتمة

الخاتمة:

وفي الأخير نستطيع أن نقول أن جون لوك استطاع فلسفة سياسة واقعية، نظرا لما أحدثته نظرياته من تغيير كبير ليس فقط في بلده إنجلترا، بل إن نجاحها وتجسيدها على أرض الواقع قد بلغ العالم الجديد والأراضي الفرنسية محدثة بذلك ثورة باسم الحرية وحقوق الانسان والتي نادى بها لوك، كيف لا وهو الذي نشا وترعرع في اسرة وبيئة مكافحة من أجل الحرية.

والدارس للجانب السياسي من فلسفة لوك، حتما سيلاحظ ذلك التجانس الذي أورده في مؤلفه " رسالة في التسامح" وبين أرآه السياسية التي ضمنها في " مقالتان في الحكم المدني" فكان العاملان مكملين فيها نابعة من إرادة الأغلبية.

إن ليبير لوك قائمة على مجتمع علماني، حيث عمد إلى نقد فكرة حق الملوك المطلق في الحكم التي رآها أمرا غير عادل، والملاحظة هنا أنه لنطلق في نقده هذا من فلسفته في المعرفة حيث أقر بأنه لا وجود لشيء مطلق، وبهذا فند تلك الفكرة التي غزت المجتمعات الأوروبية لقرون والتي كانت سببا في انتهاك حقوق الانسان، قام لوك بعد ذلك بالتنظير لدولة علمانية، في تصورنا أنه تنظير يتوافق والديانة المسيحية الحقة وحتى مع الدين الإسلامي، فكلا الديانتين دعت إلى حرية المعتقد وإلى نبذ الحروب والقتل وإرغام الغير ومحاسبتهم، فنحن غير مكلفين بمهمة هي في الأصل من أمر الخالق لا الانسان، وهذا بالتحديد ما رمى إليه لوك، لذلك أسس مجتمعنا علمانيا سلطته الحاكمة مقيدة بقوانين تحفظ حقوق الرعية، ومنفصلة عن الكنيسة لحفظ تلك التعددية الدينية.

لقد تجاوزنا تأثير فلسفة لوك السياسية بلده، ليصل إلى العديد من الفلاسفة الأوروبيين لاسيما الفرنسيين منهم من أمثال فيلسوف التنوير فولتير وكذلك جون جاك رسو، وكذا الفيلسوف والعالم والسياسي الأمريكي توماس جيفرسون، لقد أخذوا منها العديد من الأفكار والآراء، خاصة تلك التي تتعلق بحقوق الانسان، والتسامح الديني.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

1)جون لوك، الحكومة المدنية، تر: محمد شوقي الكيال، مطابع الإعلانات الشرقية، د ط، دس.

2)جون لوك، في الحكم المدني، تر: ماجد فخري، اللجنة الدورية لترجمة الروائع، د طّ، لبنان، .1995

3) جون لوك، مقالتان في الحكم المدني، تر: ماجد فخري، اللجنة الدورية للترجمة الروائع، د ط، بيروت، .1995

4)جون لوك، رسالة في التسامح، تر: منى أبو سنة، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1997.

قائمة المراجع:

1) أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، دار المعارف، ط 5، القاهرة، 1995.

2) أمل مبروك، الفلسفة الحديثة، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 1971.

3) إبراهيم شمس الدين، ميكيا فيلي أمير الفلسفة ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994.

4) أحمد وهبان، الماوردي رائد الفكر السياسي الإسلامي دار الجامعة الجديدة للنشر، مصر، د ط، 2001.

5) إمام عبد الفتاح إمام، الاخلاق والسياسة، القاهرة، 2003.

6) برتر ندراسل، تاريخ الفلسفة الغربية، تر: فتحي الشنطي، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1977.

7) جان توشار، تاريخ الأفكار السياسية من عصر النهضة إلى عصر الانوار، ناجي الدراوشة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، 2010.

8) جون جاك روسو، العقد الاجتماعي، تر ذوقان قرقوط، دس، دار القلم، بيروت.

9) جان توشار، تاريخ الفكر السياسي على مقلد، ط 2، الدار العالمية للنشر والتوزيع، بيروت،1983

10)جان جاك شر فاليه، من المدنية على الدولة القومية، تر: محمد غرب صاصيلا، ط2، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، لبنان، 1993.

11) جون كولر، الفكر الشرقي القديم، تر: كامل يوسف حسين، المجلس الوطني للثقافة والفنون، بيروت.

12) نور الدين جاروش، الفكر السياسي، ط2، دار الأمة، .2009

13) مهدي محفوظ، اتجاهات الفكر السيسي في العصر الحديث، ط 1، دار المؤسسات الجامعية للنشر، .1948

14) على عبد المعطي، الفكر السياسي الغربي، د ط، دار المعرفة الجامعية، .2005

15) ميلاد المقرحي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الثانية، ط1، المنشورات الجامعية المفتوحة، .1991

16) محمد فتح الله الخطيب، مبادئ العلوم السياسية، د ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998.

17) نيكولا مكيافلي، الأمير، تر: خيري حماد، تقديم كريستيان غاوس، ط 2، دار الافاق الجديدة، بيروت، .2002

18) عبد الرضا حسن الطعان، مدخا على الفكر السياسي الغربي الحديث المعاصر، ط1، دار السنهوري، بيروت، .2018

19) نيكولا مكيافيلي، الأمير، تر: محمد لطفي جمعة، د ط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، .2012

20) جورج سباينن تطور الفكر السياسي، تر: راشد البراوي، ط1، القاهرة، .1971

21) عزمي اسلام، جون لوك، سلسلة الفكر الغربي، ط 1، دار المعارف، مصر، 1964.

22) محمد وقيع الله أحمد، مدخل إلى الفلسفة السياسية، دار الفكر للنش، دمشق، ط 1، 2010.

23) محمد على، علي عبد المعطي محمد، السياسة بين النظرية والتطبيق، دط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الإسكندرية، 2006.

24) علي عبد المعطي، محمد جلال أبو الفتوح شرف، خصائص الفكر السياسي في الإسلام واهم نظرياته، دار الجامعات المصرية، القاهرة، 1970.

25) مصطفى سيد أحمد صقر، نظرية الدولة عند الغرابي، مكتبة الجلاء الجديدة، المنصورة، د ط، 1989.

26) موريس كرنستون، اعلام الفكر السياسي، ط 1، دار النهار للنشر، بيروت، 1981، عبد المجيد عمراني، تاريخ الفكر الفلسفي والسياسي، ط1، منشورات الحبر، 2008.

27) رواية عبد المنعم، جون لوك، إمام الفلسفة التجريبي، دار النهضة العربية، ط 1، بيروت، 1996.

28) محمود زكي نجيب، قصة الفلسفة الحديثة، د ط، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1926م.

29) صلاح علي نيوف، مدخل إلى الفكر السياسي، كلية القانون والعلوم السياسية الاكاديمية العربية، الدنمارك.

30) ستيفن ديلو، التفكير السياسي والنظرية السياسية، ط 1، تر: ربيع وهبة المركز القومي للترجمة، 2010.

31) محمود محمود ربيع، الفكر السياسي الغربي فلسفاته ومناهجه من أفلاطون إلى ماركس، د ط، مطبوعات جامعة الكويت.

المجلات:

1) صباح كريم رياح الفتلاوي، نظريتا الحق الإلهي والعقد الاجتماعي، دراسة مقارنة، جامعة الكوفة، ع10، 2008.

2) السعيد بن يمينة، نظرية العقد الاجتماعي، لوك هوبز، روسو منتديات المسيلة، شبكة سيدي عامر.

http://www.sidiamer./t67385-topic.#ixzzimop.vqije.

3) مجلة الباحثون السوريون الالكترونية، الفلسفة السياسية تطور مفهوم العقد الاجتماعي عند جون لوك.

http://www.syr.rzs.com/article/5437.h.tm.

المعاجم والقواميس:

1) ابن المنظور، لسان العرب، م3، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1928.

2) جبران مسعود، معجم الرائد، دار الملايين المؤسسة الثقافية للنشر والتوزيع، بيروت، 1984.

3) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ج1، 1982.

الموسوعات:

1) أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل، منشورات عويدات، ط 2، م 1، بيروت، 2001.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان III

إهداء IV

مقدمة ..... أ

الفصل الأول: الفكر السياسي عبر العصور 6

المبحث الأول: الفكر السياسي في الحضارات القديمة 7

1-الفكر السياسي في الشرق القديم 7

2-الفكر السياسي في الصين القديمة: 8

المبحث الثاني :الفكر السياسي في العصر اليوناني و الروماني 11

1-الفكر السياسي في العصر اليوناني: 11

2-الفكر السياسي في العصر الروماني 18

المبحث الثالث: الفكر السياسي في العصر الإسلام 22

1- الفارابي: 22

2-الماوردي: 24

3-ابن خلدون: 26

الفصل الثاني: الفكر السياسي الحديث 28

المبحث الأول : الفكر السياسي في عصر النهضة 29

1- عصر النهضة: 29

2-العوامل التي ساعدت في تطور الفكر السياسي لعصر النهضة: 30

3-أهم النتائج لحركة النهضة: 32

المبحث الثاني : الاصلاح السياسي 33

اولا :حركة الاصلاح الديني: 33

1-مارتن لوثر(1483-1546): 33

2-أسباب نجاح حركة الإصلاح الديني لمارتن لوثر: 35

ثانيا :حركة الاصلاح السياسي: 38

1-ميكيافيلي: 38

2– الفكر السياسي عند ميكافيلي 39

فهرس المحتويات

المبحث الثالث: تأسيس نظرية العقد الاجتماعي: 44

1- نظرية العقد الاجتماعي: 44

2-مفهوم العقد الاجتماعي: 44

3-الحالة الطبيعية والعقد الاجتماعي عند هوبز: 46

الفصل الثالث: فلسفة جون لوك السياسية بين التأثر والتأثير 49

المبحث الأول: جون لوك: 50

2-حياته وأعماله: 50

2- الاهتمامات الفكرية للفيلسوف وطبيعة العصر: 52

3-مؤلفاته: 54

المبحث الثاني: المؤثرات الفكرية في فلسفة "جون لوك": 57

1-تأثره برواد الفكر الفلسي 57

2-أهميته في تاريخ الفلسفة: 58

المبحث الثالث: مفهوم الدولة 59

1-نظرية العقد الاجتماعي عند لوك: 59

2-العقد الاجتماعي عند جون لوك: 64

3- قيام المجتمع المدني عند لوك: 67

4- أشكال السلطات عند لوك: 72

المبحث الرابع: مدى تأثير فكر لوك السياسي: 75

1-جون جاك روسو: 75

2.أثر لوك في فكر توماس جيفورسون السياسي: 76

الخاتمة 79

قائمة المصادر والمراجع 81

فهرس المحتويات 86

ملخص البحث: 89

ملخص البحث:

جون لوك فيلسوف له أراء ونظريات في السياسة، جعل من فلسفته السياسية نهضة لحقوق الانسان، التي اعتبرها حقوقا أساسية وجوهرية مادام ان الطبيعة هي التي سنتها، تتمثل هذه الحقوق في الحرية والحياة والمساوات والملكية، ولقد خص لوك : "فلسفته" السياسية بفضيلة كانت غائبة عن عصره ألا وهي فضيلة "التسامح" فمن خلالها فصل بين السلطة الدينية والسلطة المدنية، وبين مهام وحدود كل منها، فلا الأولى تتدخل في وظيفة الثانية فتتعدى على الحقوق المدنية للفرد باسم الدين، ولا الثانية تتدخل في الأولى فتكون منحازة لها أو وصية على شؤنها فتضطهد رعيتها، محيلا بذلك لفكر سياسي علماني داع لليبرالية مناهضا لحقوق الانسان، فكان فكره مصدرا لمرجعية للعديد من الفلاسفة، بل تعدى المجال النظري ليبق في الواقع، واضعا بذلك حدا لتلك الصراعات وذلك الاستبداد الذي كان مصدرا ومرجعية للعديد من الفلاسفة، بل تعدى المجال النظري ليطبق في الواقع، واضعا حدا لتلك الصراعات وذلك الاستبداد الذي ميز عصره، والعصور، التي من بعده.

الكلمات المفتاحية:

التسامح–التسامح الديني، الليبرالية، العلمانية–المساواة–الملكية –الحقوق الطبيعية– الحقوق المدنية–قانون الطبيعة–السلطة الدينية–الحالة الطبيعية–الحالة المدنية–العقد الاجتماعي–المجتمع المدني.

Research Summary:

John Locke, a philosopher with views and theories in politics, made

his political philosophy a renaissance of human rights, which he considered fundamental and fundamental rights as long as nature enacted them. These rights are represented in freedom, life, equality and property. His era is the virtue of "tolerance", through which a separation between religious and civil authority, and between the tasks and limits of each of them, the first does not interfere in the function of the second and infringes on the civil rights of the individual in the name of religion, nor does the second interfere in the first so that it is biased towards it or a guardian over its affairs and persecutes its flock Thus, referring to a secular political thought that advocated liberalism and opposed to human rights, his thought was a source of reference for many philosophers. Rather, it transcended the theoretical field to remain in reality, thus putting an end to those conflicts and that despotism that was a source and reference for many philosophers. Rather, it transcended the theoretical field to be applied in reality. , putting an end to those conflicts and that tyranny that characterized his era, and the eras that followed him.

key words:

Tolerance - religious tolerance, liberalism, secularism - equality - property - natural rights - civil rights - law of nature - religious .authority - natural state - civil status - social contract - civil society